ملف مجلة الثقافة الجديدة في الذكرى الأولى لاستشهاد كامل شياع

في 2009/08/23 تمر الذكرى الأولى لاستشهاد الزميل العزيز **كامل شياع**، الباحث والكاتب المرموق عضو هيئة تحرير مجلة (الثقافة الجديدة) ومستشار وزارة الثقافة العراقية، الذي داهمته في ظهيرة ذلك اليوم رصاصات غادرة أطلقها قتلة محترفون. ومن المؤكد ان تلك الرصاصات الغادرة لم تكن تستهدف كامل كشخص فهو الوديع الذي لا خصومات شخصية له، بل كانت تستهدف الرهان/المشروع الذي كان يمثله كامل. انه رهان المثقف الكبير، رهان المثقف العضوي المرتبط بالمشاريع الكبرى للمجتمع، رهان الحياة، بإزاء أيديولوجيات الموت، رهان الدولة المدنية الديمقراطية العصرية، بإزاء دولة المحاصصات، رهان الديمقراطية، بإزاء الإرهاب والشمولية والدكتاتورية والعسف، رهان الوطنية العراقية الأصيلة، بإزاء ملوك الطوائف، رهان الكلمة الشجاعة، بإزاء الطلقة الخائبة.

واستذكارا لرحيل فقيدنا الكبير كامل شياع أعدت مجلة (الثقافة الجديدة) هذا الملف المكرس لمرور عام على رحيل كامل. ننتهز هذه الفرصة لنونوه بان هيئة تحرير المجلة وجهت رسالة دعوة الى العديد من المثقفين وأصدقاء وأحبة الفقيد كامل. وقد أجابنا مشكورا عدد من الزملاء نعرض هنا شهاداتهم في هذا العدد، في حين اعتذر زملاء آخرون عن الكتابة مشيرين الى أنهم ما زالوا تحت صدمة استشهاد كامل ويصعب عليهم الكتابة. وإذ نتوجه بالشكر الخالص لكل من استجاب لدعوتنا نتفهم دوافع ومشاعر من لم يسيل قلمه ليكتب عن هذه الفاجعة فالصدمة كبيرة وعزاؤنا ان روح كامل ما زالت تطوف في القلوب والضمائر، تطارد القتلة الذين لن تستطع مسدساتهم الكاتمة للصوت ان تسكت صوت الحقيقة والحرية والتنوير والديمقراطية والحداثة.

وباستثناء مساهمة العزيز فيصل شياع عبدالله، شقيق الفقيد كامل، لخصوصيتها ننشر هنا المساهمات التي وردت إلينا، طبقا للحروف الأبجدية لأسماء المشاركين.

كامل في ذكرى اغتياله الأولى

فيصل شياع عبد الله

(خاص بالثقافة الجيدة)

في العام 1968، وفي الثامن من شهر آب، رحل شياع عبدالله عن عالمنا ولم يُكمل وقتها بعد عقده الخمسين. رحل ذلك الرجل تاركاً لنا لوعة حارقة وفراغاً هائلاً؛ كمّاً من الأفواه لم يبلغ أكبرهم سن المراهقة، أزمة مالية، غياب المرجع بعد ان قطعّ كل علاقاته بأقاربه، لعنة لا تقبل المهادنة أو التهاون مع انقلابيي البعث بعدما عرفهم وذاق المر على أيديهم في العام 1963 إثر إسعافه، ومن موقف أخلاقي، لشاب شيوعي احتمى في بيتنا. أما وصاياه فكانت أقرب الى البديهيات التي مارسها في حياته؛ بان عائلته فوق الروابط العشائرية والانتماءات الطائفية والمذهبية، واعتداد طاغ بالنفس. ورغم ان الرجل أبقى علاقاته مع محلة الشواكة وباب السيف القريبتين، فقد تفتحت أعيننا على بيئة وعوالم لا جامع بينها سوى أجواء مدينة بغداد المعروفة بتسامحها آنذاك. ذلك البيت، في منطقة الصالحية المجاورة لدار الإذاعة والتلفزيون، كان بمثابة مزار يومي يعج بوجوه ولهجات بدت لنا نحن الصغار كأن العالم قائم على الخير والوئام وموشى بهما؛ أم حميد خالة عبد الستار الجواري، المزخرفة البارعة فهيمة السورية، المطربة الكردية نسرين شيروان، أم عبد الرزاق "عبد الواحد"، الحاج عمر أحد سدنة مزار بالقرب من سامراء، الشيخ محمد المشوح الجميلي ورجاله المتجهمون، المضمد البعثي عمران، وشخصيات دينية يتبرك بحضورهم الجيران إزاء سخريتنا ودعاباتنا الطفولية. هناك ولد كامل في الرابع من شباط العام 1954 على يد القابلة المسيحية بهيجة البصري، التي حولت غسوله بزيت الزيتون الى مثار تندر لم ينقطع الى ان كتب له "أبن جنيد" حرزاً لطرد الأرواح الشريرة عنه.

بعد أربعة عقود، وبالتحديد يوم الـ 23 من آب العام الماضي، زارتنا فجيعة صاعقة من العيار الثقيل. أما خبرها وتفاصيلها الشحيحة فقد أصابت منا مقتلاً. بين الشك واليقين، هول الصدمة وتوقعها، تبين لي من الصوت المتقطع وشهقات شقيقي، ان كامل قد أغتيل فعلاً. ذلك اليوم الأسود، المشؤوم هكذا وبضربة كواتم صوت، وضع حداً لحياة أنبل وأبرز مثقف عراقي معاصر بشهادة من عرفه داخل العراق وخارجه. ولعل من خطط لهذه الفعلة الشنيعة كان يدرك جيداً قيمة كامل وسعة آفاق مشروعه الثقافي والسياسي الوطني في بلد تتناهشه جهالة الطوائف ورابض على كم هائل من العصبيات التقليدية. اليوم، وبعد عام على اغتيال هذا المفكر النادر وصاحب الصوت العقلاني والإنساني والبسمة الجذابة، تبين لنا ولكل من عرف كامل حجم الفراغ والخسارة الذي تركه. أقلها من الصعب بين ليلة وضحاها تكوين قامة فكرية وثقافية أسست نفسها بعصامية الزاهد، وأثثت سرديتها بعناية فائقة في ظل الراهن العراقي غير خفي بتعقيداته وفوضاه. لكن غياب كامل كشف لنا، أيضاً، أقنعة كثيرة ودحض فينا الآمال العريضة التي رسمناها على البعض حيناً. غيابه أعاد لنا تلك اللحظات العصيبة التي عشناها وما زال علينا مواجهتها في أيامنا القادمة. ومع ان الخيبة لم تنل من كامل في يومياته البغدادية والتي كنا نتحسسها ونعرف حجم الصعاب والتحديات التي يواجهها، فان إيماننا

بمشروعه الثقافي والوطني سوف يجعلنا نقتفي طريقه. انه سؤالنا اليومي وزادنا بعد ان نثر حضوره القوي بيننا، إذ لا توجد زاوية من البيت إلا وتذكرنا به. نقطة ارتكازنا العقلانية وملهمنا، وأحسبه كذلك في الفضاء العام. صاحب الضمير الحي، النزيه والثاقب الرؤية إزاء جحافل من ضللوا الناس وسلاحهم الكذب وتسليع الأوهام. نهر خالد صبّت فيه روافد عقول شامخة من شتى الثقافات والأماكن. ما بقي لنا من كامل الكثير سوى من كان وراء اغتياله. ألا يكفي ذلك سبباً لعدم نسيانه؟

الذكرى تستحضر الذكريات ولنا مع كامل الكثير منها. هو ذلك اليافع الذي قرر الانزواء مبكراً عن صخب المحلة وأختار الكتاب صديقاً وكرسي البيت الوحيد مقعداً. من وجد في المكتبة البريطانية في الوزيرية ضالته وفردوسه عالم الكتب. من لم يغره السفر وجهاز التلفزيون أبداً. أتذكر كلماته القليلة والكبيرة في معناها بقوله " لقد دريت وتألمت، وعرفت بان الألم أسهل الممكنات. وان تراجيدية الأحداث صارت تدفع الى الأمام دون تصديق لأي شيء يدور على ظهر المكان. وان الرجال صاروا يكبرون حسب موقع تمسكه أقدامهم، وان الحقيقة صارت تحتاج الى مصباح ديوجين لإظهارها"، كان ذلك بعد أن تركت وظيفتي وهربت الى تكريت. هو الذي عبر أفضل تعبير عن قناعات أبيه في نصه المهم عن الأماكن بقوله "إن نشأت مثلي دون اكتراث للأصل والفصل، سوف لا يراودك شعور بأنك مبتلى بالمنفى". قُيض لكامل ان يلعب دوراً لا يمكن ان يُدرج ضمن خانة واحدة، فقد ناقش وكتب في الفلسفة مثلما كتب عن الحياة العادية بكل تجلياتها وتناقضاتها الصارخة. كتب دراساته في الرواية وفي الشعر، في الفن التشكيلي والفوتوغرافي، في السياسة والشأن العام وبعدة معرفية ثرية وبأسلوبية متميزة من دون ضغينة أو انطلاق من موقف مسبق. نسج علاقات واسعة مع مثقفي داخل العراق وخارجه، وكأنه بذلك صاغ يوتوبياه الشخصية دون أوهام عن الأماكن والناس، دون تبرم أو مزايدة على أحد. ولئن كان الكتاب خير جليس، كما يقال، فان كامل إكسيره المقدس.

عام على رحيل كامل شياع

احمد خالص الشعلان

ماذا أقول من أجل تعويض خسارتنا ؟ فعينات البشر الذين من طراز كامل شياع لا تتكرر إطلاقا. كان لدينا "كاملا " بكل ماتحمله الكلمة من معنى اسما و نعتا، أولم يقل علي بن أبي طالب ان " للصفة أخوات "، إذن فصفات كامل كانت أخوات. و لكن ياترى بأية صفة انعته ذاك الإنسان الدث الكيس الذي كأنه كامل لكي أنسى أنا ألمي الشخصي بفقدانه ؟ أشهيدا، لأنه أغتيل على هذا النحو الغادر الصامت السافر ؟ فهذه كلمة لا تعوضني ما فقدته برحيل "كامل " حتى لو عبأت علم الدلالة ليشحنه بكل ما فيه من طاقات و تفسيرات جديدة و مبتكرة، طبعا بمعنى لا يمت بعلاقة لما بلغه استعمال مفردة " شهادة " من التفاهة منذ عقود من لدن جيوش ليل الجهاد و السواد، فصار كل صريع لها في إجرامه يسمونه " شهيدا " ! لا أريد مفردة تجمع كامل بهؤلاء ! أم أسميه بطلا، لأنه عاد مثلما عدت أنا غداة سقوط الصنم ، و لم نكن ندري ان وراء الأكمة ما وراءها ؟ عدنا كلانا ، مثل آلاف البشر ممن عادوا الى هذا الوطن الذي يأكل أبناءه و الأرض التي باتت يبابا . عاد هو من أرض قصية ، و عدت أنا من أرض دنية، و ربما عاد القليل غيرنا ممن عادوا، لا لكي نتعوض نحن، أو يتعوضوا هم ، بل لكي نعمل على ان يتعوض من يستحق التعويض عن ركام من الخسارات ما عدنا نعلم من هو المسؤول عنها. عاد كامل شياع من ارض الحرية هناك فيها مشروطة إنسانيا الى ارض الحرية فيها هنا مشروطة دينيا ، و قبليا و طائفيا ، و مناطقيا ، وخرافيا ، و اجراميا و فساديا و انتحاريا . لذا ، لا أريد أيضا أن أسميه " بطلا " ، لأن كل صرعى أولئك سموا أبطالا ! و لأن هذا النعت هو ألآخر ما عاد يفي بالمراد بعد أن اهترئت معانيه حد التقزز ، فها هي العقيدة العمياء تسمي كل من يعتدي " بطلا " و كل من يسرق تسميه " غانما " و كل من يقتل تسميه " مجاهدا ". فما العمل إذن ؟ ! و ماذا سأسمي "كاملا " بعد أن فعل الجناة فعلتهم في وضح النهار و أمام الأنظار و على هذا النحو السافر ! لقد نفذ المدد و جفت الحروف ! و ما عاد بوسعنا أن نرثي أحدا، فقد صرت أمقت الرثاء ! إذ لم يعد بوسعنا أن نسمي أحدا ، مثلما سمى ليرمنتوف بطله " بطل من هذه الزمان "، فالزمان ليس هو الزمان الذي رحل فيه كامل ليس هو الزمان !

عاد "كامل " من ارض حيث الإنسان في حضوره يتحرر من كل ارث يبدد الحب بسبب علاقات موروثة قميئة من الأسرة و الطائفة و الدين و القومية ، تلك الشباك التي تقتل الروح الى ارض يحضر فيها الإنسان و معه كل هذا الإرث السخيف الذي اعتاد عليه من الوصاية و الأبوية المقيتة ! عاد كامل شياع من أرض فيها حرية الفرد هي شرط تماهيه مع الموجودات من بشر وكائنات أخرى و مع ما موجود في الطبيعة عموما، مما يمكنه آخر الأمر على التماهي مع المطلق المنشود ، بصلاة لا سجود و لا ركوع فيها، و إنما عبر النسبي المتاح نزرا الى أرض فيها ركوع حتى النخاع لأصنام شتى !

عاد "كامل " الى ارض اعتقل العقل فيها منذ دهور، و بات هذا العقل لا يسير فيها إلا و " الحنديري" يعصب منافذه نحو النور، و بذا صار هذا " الحنديري " شرط تماهيه مع الطائفة أو الثلة أو المجموعة السياسية الإجرامية . جاء من ارض يخرج فيها رئيس وزراء من طراز أولف بالمة مع زوجته منتصف الليل آمنا ليعود الى البيت دون حراسة ، و عاد الى ارض لا يسير فيها أي سياسي دون حماية المدججين بالسلاح . و لا غرابة بعد ذلك أننا سمعنا " صداما " ذات يوم يقول: " السلاح زينة الرجال "، و سمعناها بعدئذ تتكرر على لسان من يزعمون هذه الأيام أنهم كانوا ذات يوم ضحايا هذا " السلاح زينة الرجال " . و لا عجب ! فهم يكتنزون بهذه " الزينة " المكاسب و عند شعورهم بدنو الخطر منهم يروحون يحدثونك عن التقية و البلية . و أنا لا استبعد من الناحية المنطقية ان تكون الجهة التي اغتالت كامل شياع هي ذاتها التي اغتالت أولف بالمة في ليل بهيم منذ أكثر من عقدين و نيف من الزمان ، و لكن مع فرق بسيط هو أن ذاك القاتل حتى في الليل البهيم كان هناك يخشى أن يفتضح أمره ، و القاتل هنا في وضح النهار لا يخشى أن يفتضح أمره " و صدق من قال " اللي اختشوا ماتوا ! " . فبعض أهل هذه الأرض صار ديدنهم القتل !

عاد "كامل " ، و عدت أنا . عدنا ، و لم نكن نعلم ان هذه الأرض المسكونة بالأباطيل و الشر ، و مع أنهم صاروا يسمونها " أرض الأنبياء " ، فهي لا تحتمل مفكرا من طراز "كامل " ، إذ يشير الى مكامن الشر الموبوءة به هذه الأرض . عاد "كامل" و ما كان يدري ان للموت عقيدة تزينه ملايين الخرافات السياسية المعشعشة في هذه

الأنحاء من المعمورة . خرافات تتولد منها ملايين السخافات التي قد يتخذها أمراء الخرافة و سدنتها ذريعة يقتل المرء بسببها على هذه الأرض غير المباركة !

خسرته ، و كنت التقيته ثلاث مرات لا غير !

مرة حين أتصل بي الأستاذ مفيد الجزائرى في كانون الثاني 2008 للقائه و هو يحشد المثقفين في خيمة " الجمعية العراقية لدعم الثقافة " ، فقال لي بأدبه الجم عبر التلفون: " ألديك ما مانع أن يكون معنا ثالث تتعرف عليه؟ " رددت قائلا " أبدا ! " . و كان ذاك الثالث "كاملا "، تعارفنا، و حين افترقنا ذاك اليوم ودعته و كأني أعرفه منذ الأزل .

و بعد يومين وجدت في بريدي الالكتروني رسالة منه تحمل مقالة مارك لايلا الموسومة " تدابير الاله السياسية " ، فقرأتها.

المرة الثانية كانت بعد أسابيع حين جاءتني دعوة في حفل إزاحة الستار عن تمثال " سلام عادل "، التقينا هناك و بعد الحفل بقينا نتحدث ساعة على الرصيف . و سألني عن المقالة ، فقلت له " جميلة و مفيدة ، و لكني أرى انك بعثتها الي لكي أترجما ، أليس كذلك ؟ " اذكر أنه أومأ برأسه مؤيدا . فوعدته بذلك .

المرة الثالثة كانت في اتحاد الأدباء قبل رحيله بشهر تقريبا في تموز 2008 ، و سألني ان كنت سأشارك في وفد اتحاد الأدباء المدعو لزيارة إيران ، فقلت له " نعم " . قال: " ممتاز لكي نقضي ساعات السفر نتحدث في أمور لم نتحدث فيها بعد ! " و لم يدم لقاءنا ذاك سوى ساعة و نصف ، دعاني خلاله الى شرب استكان شاي في المقهى الصغير خلف مقر الأندلس . ثم افترقنا و لم نلتقي بعدئذ ، و لم نذهب في ذاك الوفد ، سوى أحاديثنا بالتلفون مرات قليلة ، الى أن صعقني خبر اغتياله ألآثم !

فما عساي أن أقول ؟

لقد نفذت مني كلمات الرثاء ! لا أريد أن أرثي "كاملا " ، فالكامل لا يرثي بل يخلد

و البشر الخيرون الذين يرحلون غدرا و يستحقون الرثاء كثر ، وخيرهم استثنيت !

كامل شياع ...شهيد الكلمة الشريفة

ألفريد سمعان

منذ أقدم العصور عاشت الإنسانية أياما صعبة وخاضت تجارب قاسية، وكان الصراع محتدما لا بين الطبيعة والإنسان بل بين الإنسان والإنسان. وقد اتخذ الصراع أشكالا مختلفة وعرفت الأجواء خططا وأساليب متنوعة لتحقيق الانتصار والوصول الى الأهداف التي يصبو الى تحقيقها.

ومع تطور الحضارة والتسابق في مجال العمران والتطورات الاجتماعية والسياسية، شهدت المجتمعات صورا بوجوه مختلفة وكلها تصب في الصراع بين الخير والشر والسعي الى تحقيق العدالة الاجتماعية. وكان للعلم دوره، وأفرزت الشعوب كتابا ومفكرين وأصحاب إرادة وقدرات نضالية وصلت الذروة، وكانت التضحيات جسيمة والعذابات متواصلة ولكن القافلة لم تتوقف عن السير رغم كل ما كان يعترض طريقها من صعوبات.

وفي عالم الثقافة ومع ازدهار القيم الفكرية وتصاعد الأعمال الفنية سقط في كل أنحاء العالم الملايين من الضحايا. وظلت دمائهم تشهد لهم بالبطولة والإبداع والشجاعة.

وأحد هؤلاء، صرعى الفكر التقدمي والتوجهات الإنسانية والقيم النبيلة شهيدنا كامل شياع الذي نالت منه أيادي الخونة أعداء الشعب صناع المجازر الذين يعملون على وأد الكلمة النظيفة والترنيمة الجميلة والابتسامة الرائعة وهم يواصلون مساعيهم الإجرامية للعودة بنا الى الوراء للبطش والقتل والسرقة والانتهاك وكل الأعمال الشريرة.

ان هذه الزمر القذرة التي خابت آمالها في الإبقاء على النظام الدكتاتوري المنهار تسعى بكل الوسائل لإثبات وجودها وهي تعلم ان ابرز وجوه المجتمع هم المثقفون وان الكلمات بشتى أشكالها والصيغ التي جاءت بها والنداءات التي وجهها المفكرون كانت هي الشرارة الأولى لرفع مستوى الوعي السياسي والاجتماعي وبالتالي وضع الصيغ المناسبة لإحداث التغيرات الاجتماعية واستبدال القيم التافهة بقيم جديدة تنسجم مع مسار الحضارة والإحساس الإنساني بما تقدمه من تطورات تخلق الظروف الملائمة لانتصار قضايا أولا وبناء مجتمعات تستند على ركائز اقتصادية وإنسانية لكي تواكب طموح الإنسان وتحقيق إرادته في الخير والحب والتضامن من اجل مستقبل أفضل.

لقد عمل كامل شياع، الإنسان، المفكر، الطيب الوديع، الذي قضى أيامه يطارد الكلمة الشريفة بأكثر من لغة، ويخوض أمواج النضال الرهيبة ويرتقيها ويصوغ من الكلمة أبراجا مضيئة وفنارات تهدي الشعوب وتنير لها الطريق نحو المستقبل.

كان كامل شياع إنسانا وديعا يحمل قسطا رائعا من النمط الخلقي غير المألوف وكان وحده خلية نحل لا يتوقف نشاطها ولا يبخل على أحد بما يمتلك من خلق رفيع وتوجه وتوازن أو تجربة ناضجة تخدم المجتمع عموما- أو تنشر النور في كهف مظلم ومد يد المساعدة بلا شروط لكل من يتعرض للغرق والأسى أيضا.

ان قتل كامل شياع يضع على جباه القتلة بصمات العار والتنكر لكل القيم الشريفة وتكشف المخطط الإجرامي الذي وضعه أعداء العراق بتصفية العناصر التقدمية التي منحت اعز ما تملك لبناء عراق ديمقراطي يسعى في دروب الخير وينتمي للحضارة ويعمل من اجل غدٍ جميل للكادحين ولكل أبناء الشعب. إنها لضربة موجعة وجريمة تضاف للجرائم التي ارتكبها أعداء الحياة الذين لوثوا ارض العراق بالدم ونسجوا من سعف النخيل مشانق وطمروا الحفر الواسعة بأجسام المناضلين وهم أحياء. انه السلوك الذي أدانته الإنسانية وشجبه الملايين بعدما توزعت الضربات الدكتاتورية والفاشية في كل أنحاء الأرض بعد المجازر التي ارتكبوها في أوربا وسواها أثناء الحرب العالمية الثانية وقبلها وابتكروا من وسائل البطش والتعذيب ما لا يمكن تصوره.

ان سيناريو القتل مستمر وهو مصّر على أهدافه العدوانية ولن يتنازل عنه القتلة.. ولذلك فان القوى الوطنية جميعا مدعوة للوقوف صفا واحدا أمام هذا المخطط الرهيب الذي لن يفرق بين رقبة فلان أو فلان.. لان الهدف النهائي هو عودة الدكتاتورية ما زال الشعار الأساسي لتحرك الفئات التي حكمت وتحكمت وامتلكت وبالعنف في سرقاتها واعتداءاتها الآثمة على أموال الدولة والآخرين وانتهكت الأعراض ومارست أساليب قذرة في الابتزاز وارتكاب الأعمال الدنيئة المخزية.

حذار من عودة القتلة.. حذار من شفافية الكلمات والادعاءات التي يطلقها لصوص الجريمة والانتهاكات..

وليكن دم كامل شياع شعلة تنير لنا طريق الحرية والكرامة الإنسانية.

من يكملك يا كامل؟

د.جمال العتابي

من يكملك يا كامل؟ وبأي الكلمات ترى نستذكرك، وكيف تريدنا أن نقف في حضرتك منصتين ، صامتين دون بكاء في المكان؟ نعرف أنك تحب الهدوء ،كما عشقت رائحة الرقي حينما تقدمه أليك أمك ، أيام الراحة القليلة التي تنتظرها حين تعبر(القناة) هناك تلتقيها وهي التي طالما حرصت تنتظرك على الباب..أماه.. فكامل عاد حراً كما أراد. عاد حراً كما شاء، وكما تمنى أن يكون، فهو لم يخش يوماً من الغياب، لم يخش من الإبعاد وغربته، ظل حنينه يأخذه الى بغداد، فحرص أن يرتب أمره لكي يعيش لحظة الموت، ويحيا في القلوب.

ها أنت ياكامل تغمس جرحك في جراحنا لتنكأها، لتغسلها بملح بحرك البعيد، حبرك على جدران المدن التي تركتها واحدة فواحدة، كنت أنت الآن تغمس خبزك في الموت.

في سنواتٍ مضت كالبرق عشناها أنا وكامل معاً. وجدته عالماً بأسره ينهض متشكلاً من شذرات وشظايا. أجد نفسي الآن في أضيق فسحة من الحياة. حين لا أملك سوى رثاء كامل، كلمات حائرة تائهة من نبع حبه للوطن، من نبع وحدتنا، وتعلقنا ببعضنا. لا أملك سوى مداد قلمي وصفحة بيضاء، لماذا رحلت، وقد وزعت فينا طعم الحب، ومذاق الثقافة الجديدة، لم تبق سوى كلماتك تحيينا، فمن يحمل الفانوس من بعدك، نحن ياكامل لا نملك سوى الدمع والصراخ والكلمات الثائرة، وأنت لا تهوى ذلك!

واليوم نتأمل أصدقاءه وذويه ومحبيه، وترى في الأعين حسرة على الفقيد وعلى القضية، مثل كامل يبقى علامة في الوجدان، وفي ذاكرة الثقافة العراقية والمثقف العراقي. لقد تدفقت الكلمات والقصائد في رثاء كامل الذي يمتزج جسده بتراب الوطن، وتحول حادث اغتياله الى مناسبة لاستذكار دروس الوطنية الخالصة التي امتلأت بها صفحات ستبقى علامات مضيئة لكل من يبحث عن الحقيقة بلا زيف، وعن الصدق دون التفاف.

رحل كامل وهو حزين حتماً لما شهده خلال حياته، أو وهو لم يكمل مشروعه الثقافي الحداثوي، رحل ولم يكتب النهاية لقصة طويلة تزين (التخلف) والعبث والزيف، وصمت العالم.

كان معنياً بذاته الثقافية مثلما هو معنياً بثقافة الوطن، وثقافة المستقبل، كان مشروعاً إبداعيا متجدداً يجد نفسه في متعة لاتحد حين ينغمر في قراءة نص، أو تأمل لوحة، أو عزف موسيقي. أو حتى طرفة عابرة يرويها صديق.

لم يكن يستسلم للواقع بكل تناقضاته. بل انه يمتلك أدوات التغيير ويواجه الإغراءات بقوة الإرادة وكبرياء النفس وبالثقافة أيضاً.

كنت أمني نفسي ان أمتلك قدراً ولو بسيطاً من هذه الحيوية التي أمتلكها كامل.. وأتساءل من أين له بهذه الطاقة التي تدعهُ حاضراً في أروقة الوزارة من الصباح الباكر. لا يترك فعالية أو نشاطاً دون أن يكون مشاركاً أو مساهماً، ثم وهو يعض على (لفة الفلافل) في الطريق، مسرعاً نحو انجاز عمل له في أكثر من مكان أخر ما تجدونه. أن نجد شكلاً وتصميماً جديداً لمجلة (الثقافة الجديدة) التي منحها كامل فكره وعقله ووجدانه. لكن الغدر عاجله بسرعة، ولم يكمل المشروع.

اختط كامل طريقه الخاص، وأحكامه النقدية عن موقفِ واعٍ تماماً بالحقيقة، وراح يعمق اتجاهه الثقافي في مستوى التجربة التي اكتضت بأحاسيس الغربة حتى وهو في الوطن. ركز على بناء ذاته الثقافية، على ما هو إنساني وثقافي متين، فلم يكن سهلاً في ثقافته، يمتلك أفقاً كونياً.. قل نظيره بين المثقفين العراقيين. كنت أصغي إليه بإعجاب وهو يناقش في ميادين المعرفة والإبداع، بدراية وعناية وتمكن.. وقراءة وتحليل. هو أقرب الى الحداثة في كتاباته من الايديولوجيا، ان لم نقل ان كل ما كتبه هو من صلبها. يمتلك لغة تمثل خصوصيتها، خصوصية المثقف العضوي – برأي غرامشي- تجسد سمات عصرها وتعبر عن شيء من روحه.

لعله كان يشعر بان أفضل طريقة لإقناع العالم بضرورة الثقافة. كان كامل صاحب تجربة بالغة الحضور، أننا بحاجة الى نموذجية في المستويات الثقافية والتربوية، وغني عن القول ان تجربة الراحل الكبير اشتملت على العديد من الاختراقات التعبيرية والفنية والجمالية.

وستظل تجربته في الكتابة، التي وأن لم تكتمل، مفتوحة على اكتشافات جديدة. تطلع من غنى التجربة الثقافية. لأنها تنطوي على تعددية باذخة فيها الجمالية، مثلما فيها الفني، والسياسي، دون ان تغفل بالطبع كل تلك الفضاءات الفلسفية والتراثية، والوجودية، وحتى الحسية، التي اغتنت بها تلك التجربة، والتي امتزجت جميعاً لتضع المنجز الإبداعي لكامل في حالة اشتباك دائم ومتجدد مع وعي القارئ المثقف، وذائقته الجمالية.

ان الحديث عن تجربة كامل المهمة، نجد من الضروري الإشارة الى مراحلها المتعددة، والتي حملت كل واحدة منها سمات فنية وقضايا ثقافية ميزتها، وكان الطابع الأهم في كل تلك المراحل، التطور العاصف الذي أخذته التجربة صعوداً. وبالذات منذ مغادرته الوطن، ووقوفه على أرض الشتات بكل ما عناه ذلك الوقوف من ارتطام بواقع الحياة العربية وبالأخص إشكالية الإنسان العراقي. وهو ارتطام قفز بتجربة كامل من الضيق والمحدودية الى جدلية التناقضات الحادة والبالغة العصف، فتحولت القضية الى مساحة أكبر من مساحته الجغرافية، وجعل من العراق وبغداد وسيلة الإيضاح للمأزق الإنساني برمته.

نعم أيها الجميل، الصديق، القديس، أدمنت هذا النوع من البطولات حتى قتلك يأتي مجازاً كأنها غيبوبة قليلة لا تطول، أو هو الذهاب في رحلة المسافر ننتظر عودته القريبة. أو هجرة الطائر جنوبا ليعود، وتبقى، وتبقى...

لماذا حشر كامل أنفه في أمور لا تعنيه؟

حسين كركوش

شدتني لكامل الإنسان، عندما التقيته لأول مرة، خصلتان: سماحته الواعية، وتواضعه الكبريائي.

وبعد ما تكررت لقاءاتنا بدأت أفهم أن هاتين الخصلتين هما الأب والأم اللذان أنجبا عند كامل المثقف سجايا ثقافية، بالإمكان إدراجها كلها في خانة اللاأحتكار: لا احتكار للحقيقة، لا احتكار للمعرفة، لا احتكار للفضيلة، لا احتكار للنضال، لا احتكار لوسائل النضال، حتى ليراودك وهم بأنك أمام مثقف لا موقف له.

هذا الوهم، وكامل غير مسؤول عنه إنما المسؤول عنه هو تصورنا القروي الريفي العالمثالثي للمثقف، يغذيه كامل لدى محدثه حتى يكاد أن يتحول الوهم إلى يقين، خصوصا عندما تخوض حديثا ثقافيا مطولا معه. انتباه كامل وإصغائه الشديدين، وصمته (الديني، الخاشع)، وأنت تتحدث أمامه، تولد عندك خيلاء وتولد زهو بالنفس حتى لتظن أنك الأستاذ وهو التلميذ، وأنت وحدك الذي تملك مفاتيح المعرفة، وهو المنتظر فتح الأبواب.

لكن عندما يبدأ كامل، بابتسامته الساحرة، وبسحر آخر لا أعرف كنهه حتى الآن، بإبداء تعقيب، وليس مقاطعة، يتبدد الوهم، وتنكسر الخيلاء ويتحول الزهو إلى خجل.

هنا، يحضرني ما قاله أحد المثقفين العراقيين، لعله الأستاذ مجيد الراضي، عن لقاءه الأول، عدما كان ما يزال في بداية مشواره الثقافي، مع المثقف المعروف وكاتب العمود الشهير، (أبو سعيد). يقول الراضي (وأنا اكتب من الذاكرة، لا اعتمادا على التوثيق): سألني أبو سعيد، وأنا التقيه لأول مرة في سوريا، عن نشاطي وماذا أفعل، فقلت له باعتداد: أنا كاتب. وسألته السؤال نفسه، فأجابني أبو سعيد: والله أنا (أطكطك). يقول الراضي: عندما عرفت لاحقا من هو أبو سعيد، أدركت أي حماقة ارتكبتها، لكن تلك الحماقة علمتني، على أي حال، كيف أتواضع.

كامل ليس أبا سعيد، قطعا. أبو سعيد وغالبية مجايليه من المثقفين العراقيين، خصوصا أصحاب نظرية الأدب الملتزم، كانوا شغوفين بـ (المنولوغ)، لقناعتهم بامتلاك الحقيقة، وما عليك إلا الإصغاء. كامل متيم بـ (الديالوغ) لأنه يبحث عن الحقيقة، وما عليك، عندما تناقشه، إلا تقديم المزيد من الأدلة المعرفية.

لكن كامل ليس بعيدا عن مزايا مثقفي العراق الخمسينيين. فهو، مثلهم، لا يتسلى بالمعرفة، ولا يستعرضها متباهيا، ولا يجعل منها امتيازا يتفرد به، ربما ليس لديه وقت فائض. كامل يحترق بجمر المعرفة، ويبحث لها عن غاية، عن هدف، عن موقف، وعن التزام، لكن على طريقته الحرة.

وإلا، هل بإمكان أحد أن (يقشمر) مثقف بإمكانيات كامل المعرفية والثقافية، ويقنعه أن يترك أوربا، ويذهب إلى جحيم العراق؟ وقبل ذلك، هل بإمكان جهة سياسية أن (تستغبي) كامل وتقنعه بالانضمام إلى هيئة تحرير مجلة حزبية بدأ حتى الذين اشتهروا عبرها يديرون ظهورهم لها لأنها لم تعد تجلب الشهرة كالسابق؟

هل هذا أمر معقول، أعني هل من السهولة أن (يتقشمر) كامل؟

كامل ترك أوربا وذهب إلى الجحيم العراقي، استنادا لتعريف سارتر للمثقف: (المثقف هو إنسان يحشر أنفه في أمور لا تعنيه L'intellectuel est quelqu'un qui se mèle de ce qui ne le regarde pas.)

وقبل سارتر قالت العرب: (من تدخل فيما لا يعنيه وجد ما لا يرضيه.)

هل أن النظام السياسي القائم على المحاصصة الطائفية، كان يرضي كاملا؟

هل أن وجود وزراء غير مثقفين يعمل كامل بإمرتهم المباشرة، كان يرضيه؟

هل احتمال أن يقتل كامل في أي منعطف طريق وفي أي لحظة، يرضيه؟

هل كانت نذالة التكالب الشرس على الوظائف والمناصب الحكومية ترضيه؟

لماذا، إذن، حشر أنفه، ووضع نفسه تحت عجلات تلك الآلة الجهنمية؟

هذا رد كامل، أو ما أظنه ردا: (العيش هنا " في العراق عندما كان كامل يعمل " مطلوب مع قدر من الوعي الخافت والروح المختزلة. أنا أتكلم عن نفسي بالطبع. لأني صرت أدرك أن التاريخ، وتاريخ العراق تحديدا، يستغرق وقتا طويلا، وأن معنى المفاهيم لا يتحقق إلا بعد نهاية جولات التناقض والصراع، وأن المسألة في شكلها الملموس ذات قيمة وجودية "أي تخص الفرد" رغم أن لها أبعادا اجتماعية وسياسية وثقافية ومصلحية تتيح للساعي نحوها تحقيق مراده. /من رسالة لكاتب هذه السطور/)

لكل حسب وعيه، لكل حسب (مراده).

وعي كامل قاده لاستنتاج يقول إن تاريخ الصراع في العراق يستغرق وقتا طويلا، وإن معنى المفاهيم لا يتحقق إلا بعد نهاية جولات التناقض والصراع.

و(مراد) كامل (هو يتحدث عن نفسه بالطبع) هو، أن يكون شاهدا عيانيا على هذا الصراع، ومساهما في تغيير دفته نحو ما يريد من أهداف.

كامل غادرنا دون أن يتسنى له رؤية (نهاية جولات التناقض والصراع.)

وعندما جاد كامل بروحه (مرغما بالطبع. وهل بيننا من يفضل الموت على الحياة؟) فأنه عجل في بلورة المفاهيم، ومنح للمفاهيم معنى، وحرض أعدادا من مثقفي العراق أن يحذوا حذوه.

وإلا، كيف نفسر هذا الإجماع من لدن منتجي الثقافة العراقية، وصناع الرأي العام، على رثائه؟

في ذكرى الباسم، الزاهد، والنزيه

حمدان يوسف

رحل كامل شياع تاركا بسمته وهدوءه وعمق تفكيره، ودقة التعبير بإيجاز، رحل ولم يمت فالموت الفعلي يحل بالإنسان لا ساعة توقف قلبه عن النبضان، وإنما لحظة اختفاء ذكره بين الناس هذا هو كامل الباسم أبدا، والنزيه الزاهد، الحالم، وهذا ما لن يؤول إليه مصير كامل شياع. خابرت قبل أيام أخاه فيصل فلما سمعت الصوت المجيب: مرحبا، أجهشت وأصابني وجوم، فأغلقت التلفون، إذ خُيّل لي أن كامل يكلمني.

كأن العام لم يمر على فقده، العام الذي أريد له أن يكون غير كاف للقبض على الجناة. كامل كان لا يريد الاستسلام هو كامل الباسم أبدا، والنزيه الزاهد، الحالم الذي لا يسقط في قبضة المرارة واليأس، ولا يكتفي بالإعلان عن ذلك فحسب بل يجعل التطبيق والممارسة برهانا على وحدة القول والفعل، تجليا لسمة من سمات الشيوعي الحق، مثلما هي سمة أي مؤمن، أو أي متصوف. وما كان كامل صوفيا، بل شيوعيا دون البوح بذلك، بل كان الفعل يكشف عن جوهره، دون أن يكون الانكشاف بُغيته. فالشيوعي كالشمس لا تشرق ليُقا ل أنها أشرقت.

ذكرى كامل ستكون في كل فعل يفعله الأخيار لبلوغ الغد الأفضل، وهذه مسيرة طويلة، لكنها لا تثير الملل واليأس، بل تستنهض العزائم. والاستنهاض يبعث الفرح والسرور في الإنسان، فيدفعه للعمل، خاصة إن كان شيوعيا، إذ هو على استعداد دائم لنفع من حواليه لا يحتاج لمؤذ ن ينادي: حي على خير العمل.

كنا قد التقينا في بغداد في المؤتمر التأسيسي للمجلس العراقي للسلم والتضامن، دققنا سوية وثائقه على شاطئ أبي نؤاس.. وانتخبت عضوا في سكرتارية المجلس، وبعد شهر، في كانون أول 2003، ودعني وهو عائد الى العراق، بكلمات شحيحة العدد، وافرة المضمون:

" عزيزي أبا ياسر

سأفتقد في بغداد رفقتك، توثبك وحكمة المناضل المتأصلة فيك. لكن حبل التواصل بالكلمات سيبقى، واللقاء قريب.

دمت ... مع المحبة.... كامل ".

وفي نيسان 2004 التقينا ثانية في بغداد، في الثقافة الجديدة في أبي نؤاس. وفي تموز العام الماضي، أسابيع قبل اغتياله، التقينا في برلين، عند حضوره مع الوفد العراقي بمناسبة افتتاح معرض آثار بابل في متحف البيرغامون. قضينا ساعات نتحدث متجولين، وقرأنا في جامعة هومبولدت، كلمات ماركس المنقوشة في مدخلها " فسر الفلاسفة العالم تفسيرات مختلفة.. ولكن المهم تغييره "، وتواعدنا على اللقاء في بغداد.

وافتقدته أوائل هذا العام في كل لحظة قضيتها في بغداد. لكن ذكراه وسجاياه، خاصة التواضع والنزاهة والمحبة، التي تدع كل واحد يحس أن كامل صديقه الأثير، قد تخفف من الفجيعة بعض التخفيف. انتزعه القتلة من الحياة ورحل الى عالم الخلود دون أن يمتلك حسابا مصرفيا ولا قطعة أرض، رغم سنواته الأخيرة في بلد الفساد، البلد الذي فرخ المليونيرية. ظل حريصا على ألا تزل به قدم. رفض أن يعين، إضافة لعمله في وزارة الثقافة، مستشارا في مجلس يعج بالمستشارين، معتبرا ذلك رشوة إفساد لا يرضاها.

يبقى نزيها رغم أن وضعه، كما يصف أيام إجازته لي في بروكسل، عام 2008 بأنها " هي أيام هجولة وعدم استقرار، فليس عندي بيت وهاتف تحت اليد كي أتصل بالأصدقاء، ولا أستطيع أجراء الاتصالات الدولية الطويلة بالهاتف النقال، وغالبا ما أضغط على راحتي لكي أفي بالالتزامات الاجتماعية غير القليلة، ولا أشعر بأنني أتمتع بإجازة إلا قبيل موعد العودة، وأحيانا أعود أدراجي إلى بغداد يملأني شعور بالتعاسة... والضغط النفسي. "

وماذا يجد في بغداد عندما يعود، يكمل رسالته: " أما بالنسبة للخواطر التي وعدتك بها، فأنني لم أنس وعدي، ويسرني حقا إطلاعك عليها، لكن بعضها يحتاج إلى مراجعة ولا يتوفر عندي الوقت. لك أن تتخيل عدد الأيام التي أقضيها في إعداد المجلة.. أكاتبكم، وأقرأ ما تكتبون وأراجع تصحيحاتكم، وأتابع المقالات المنضدة وأصححها وأبحث عن صورة الغلافين واكتب الافتتاحية وأشرف على تصميم الغلاف الأمامي والعناوين (علي أن أذهب بنفسي إلى مكتب المصمم الواقع في نهاية الشارع الفرعي القريب من سينما النصر في السعدون مرتين أو ثلاث مرات) وأتابع التوزيع وأحدث قوائم المشتركين .....هل ترغب بسماع المزيد من هذه التفاصيل التي تشل رغبتي بالكتابة والتفكير لأكثر من شهر في كل مرة؟ وهناك العمل الإداري السخيف الذي يستنزف مني سبع إلى ثمان ساعات في اليوم. النتيجة أن الخواطر التي وعدتك بها لم تكتمل بشكل يرضيني لأرسلها لك أو لأغامر بنشر بعض منها، وأن رغبتي في جمع بعض مقالاتي التي أعتبرها مهمة في كتاب ستبقى مؤجلة حتى إشعار آخر. آمل أن يصلك شيء منها قريباً (عليك أن تتذكر يا رفيق أنني متهجول في بغداد وأحل ضيفاً على صديق هنا، ولولا التسهيلات التي لديه لما كتبت لك هذه الرسالة). أقول هذا وأنا على يقين بأننا حتى لو شكونا وتذمرنا فإننا أبعد من أن نسقط في قبضة المرارة واليأس... الشيوعي هو أيضاً من يجيد العناية بنفسه". هذا هو كامل الباسم أبدا، والنزيه الزاهد، الحالم.

في عالم منجرف اليوم في طور من اللاعقلانية، كما وصفه، بقي كامل الباسم أبدا، الحالم ساعيا من أجل تحقيق خيار يتسع للمنادين بالعدالة والسلام، وهذا خيار عملي وطوباوي معا، رافضا خيار الامبريالية الأمريكية، التي كانت حملة إدارة بوش ضد الإرهاب غطاءها لإعادة ترتيب أوضاع العالم بالقوة العسكرية. بعد أفغانستان جاء دور العراق، المسالة لا تتعلق بتغيير أنظمة حكم دموية ومستبدة بل في ضمان أمن الشعوب واستقرارها وتطورها. وهذا آخر ما تكترث به سياسة الإمبراطورية الأمريكية التي تستعجل صنع التاريخ على هواها. .....

ثمة خيار ثالث يتسع للمنادين بالعدالة والسلام. وهذا خيار عملي وطوباوي معاً."كما جاء في مقالته عن أحداث 11 أيلول.

وسنوات الاحتلال وهي أسوأ آلاف المرات من السنوات السبع العجاف تلك زمن يوسف، والتي ستعقبها سنوات عجاف أخرى، لا السنوات السمان الموعودة، كان ينبغي أن تدفعنا للتمسك أشد وأوضح بالخيار الرافض لخيار الإمبراطورية.

إن خير تكريم لكامل يكون لا بالاكتفاء فقط بكلمات الرثاء التي قيلت بحقه، والإيفاء بالالتزامات التي أخذها المثقفون على أنفسهم، بل إن خير تكريم للفقيد الغالي كامل هو الإصرار في السعي للسير على منهاجه، والتحلي ببعض من خصاله وسجاياه، والقدرة على التخلص من شراك الفساد، والبقاء نزيها في غابة الفاسدين.

ومن يدري فلعل قابلة كامل، بهيجة البصري، كانت وهي تغسل الوليد بزيت الزيتون تترنم بأبيات إبن بصرتها الحريري في مقامته الطيبية والسروجي يكشف هويته:

أنا في العالم مُثلة ولأهل العلم قِبلَة

غير أني كل يوم بين تعريس ورِحلة

وغريب الدار لو حَـ ـل بطوبى لم تطب له

على محفة من نـور

حنون مجيد

ما يشترط ان يقال في مناسبة ما يزال الحزن قائماً فيها، على رجل بمواصفات كامل شياع، وكأنه رحل منذ يوم، أنه ما كان ينبغي لهذا الرجل ان يموت في مثل هذا الظرف أولاً، وفي الطريقة التي مات فيها ثانياً، ومع ذلك فأننا غالباً مانقف أمام مثل هذا الشيء الصادم القسوة، خاشعين وواقعيين، لنقول في آخر المطاف، نعم، لقد نَفذَ السهم، ولكنه كان سهماً مؤلماً وكأنه سهم مسموم، أذن يا لتلك اليد التي أطلقته كم كانت قاسية، وكم هي مُحبة للشر!

عرفت كامل شياع يوم التحقت بالعمل في جريدة (طريق الشعب) مسؤولاً عن القسم الثقافي فيها. لا أتذكر المناسبة التي وقفنا فيها لحظات، تعرفت أثناءها عليه. ثم كيف، بناءً على ذلك، وعدته بإهدائه مجموعتي القصصية "لوحة فنان". منذ تلك اللحظة التي افترقنا فيها على أمل اللقاء، ظلت صورته ماثلة أمام عيني، مستشعراً بأنني عثرت على رجل فيه أمل كبير.

من أجمل اللقاءات اللاحقة كان يوم ان عدنا والتقينا في مقر الجريدة، وكان قرأ مجموعتي. حقاً كنت في لهفة تامة لأعرف رأيه، وكانت أطراف أصابعه تتواتر في أشارات متتابعة ومضطربة، وعيناه تطرفان الى الأسفل أو تتألقان في نظر بعيد، وثمة دمدمة أو كلمات متقطعة عرفت منها جميعاً أن القصة التي تحمل العنوان قصة جميلة أو جيدة أو شيء بهذا المعنى، وأنها تستحق أن يكتب عنها وقد يفعل ذلك.

أي عربون جميل على صداقة أجمل، يقدمها هذا الشاب القادم من غربته المزود بثقافة جميلة، ملونة وعميقة لا يمنحك منها إلا وأنت على مقربة من المعنى العام لقولة النفرّي، إذا اتسعت الرؤيا ضاقت العبارة.

وبقدر ما كان كامل شياع مكتظاً بأفكاره ومتشبكاً مع طموحاته وفي محيط مثل المحيط العراقي الجديد، كان مشروعه الرؤيوي يبدو ضرباً من أحلام الرومانسيين، ولم يكن شياع في حقيقته بعيداً عن ذلك، ولربما كانت أعظم الحركات الثورية، بل أعظم حركات الفعل الإنساني حلماً رومانسياً أولاً وقبل أي شيء.

الأيام التي كان القتل فيها يحصل بالمجان وعلى ألف علامة وعلامة وجميعهُ لا مبرر لهُ، كنت أقضي معظم أيام الأسبوع في الجريدة تفادياً لرصاصة كنت على يقين من أن إي عراقي لا يستحقها، ولكنها قد تأتي بكل طواعية لتخترق رأسهُ. تلك الأيام كان كامل شياع يلتحق بعمله في مجلة الثقافة الجديدة مساءً، وغالباً ما كان يوصي أحد العاملين في الجريدة أن أخبروا فلاناً بأنني هنا في غرفتي، وكنت أزوره هناك.

وكائناً ما كان العمل الذي يقوم به، فقد كان يهرع لاستقبالي ويتفرغ للحديث معي. وغالباً ما كانت أحاديثنا تدور عن إمكانية تحقيق المشروع الوطني الجديد في ظل وضع سياسي الكل يغترف بأنه معقد تماماً.

ومع ذلك، فلقد كان شياع متفائلاً محباً لوطنه بل مغرماً فيه، وكثيرا ما نوه لي برسالة، ان لم يقرأها لي، أرسلها الى ولده يعّرفه فيها على العراق ويحببهُ إليه ربما طمعاً في استقدامه للعيش فيه.

كنا نتبادل أطراف أحاديث شتى، وقد سرني ببعض محطات حبه، وبعض ما قاله بهذا الصدد؛ *عرفت شيئاً ليس قليلاً من ذلك، لكن أعظم الحب الذي يسكن فؤادي ويملؤه تماماً* هو حب *ولدي*. وهو حين يقول ذلك يقوله بصيغة الغزل النفيس.

لقد تجاوز كامل شياع منفاه وعاد الى وطنه الأم، حيث المنبع البدائي لكل الاحتمالات التي طرأت عليه بعد التغيير وكأنه عاد الى درجة الصفر "الصفر الغابي"، إن صح هذا التعبير، وكان كامل يعيش هذا كله سعيداً متضامن النظرة على أن كل ما يعيق خطوات التقدم سيزول وسيحل محله الشيء الجديد ولو بعد حين. بيد أننا نحن الذين كنا نحبه ونخاف عليه لم نكن لنجرأ على الوقوف أمام حلمه الكبير، ولو بنصيحة واحدة مهما كان حجمها، تحفزه فيها الى العودة الى المنفى كما عاد غيرهُ، فهناك ربما الخيار الذي لا رصاص فيه.

كان مستمعاً جيداً، يصغي بانتباه وأدب لحديث مكلمه، كائناً ما كان مستوى هذا الحديث، وكان لذيذاً وممتعاً وجدياً، تكاملت فيه صفات المثقف النبيل والجميل لذلك ليس عرضاً أن يجمع الناس على حبه واحترامه بمن فيهم الذين لم يلتقوه وجهاً لوجه.

حقاً لقد غرس كامل شياع في قلوب محبيه حباً لن يزول وأملاً أخضر لن يخبو، بيد أن هذه اللقية الثمينة النادرة التي استوطنت أحلامهم سرقت في سرعة كلمح البصر ولما يزل كل شيء يانعاً وموعوداً بالقادم الأفضل.

إذن أي حزن يلفنا الآن، ونحن نودع عاماً كاملاً على استشهاد رجل بمواصفات كامل شياع. أي شهادة عظيمة مُنِحتَها أيها القادم من غربتك لتمون على تراب وطنك الذي أحببت.

كأنني أُحسك تستمع الآن الى هتاف عظيم يهتف باسمك الجميل "كامل" ثم يلتفت الى الوراء ويقول لقاتلك؛ لقد أخفقت.. إن النجاح هناك حيث يتألق الجسد الطاهر تحف به شراشب من نور، فيما تكمن أنت وجريمتك في الظلام.

ليكن ذلك، لتكن في الظلام، فلربما كان هو الأليق بمن تقدم من عيني كامل شياع فأغلق عنهما بجسده الملوث رؤية الأفق الرحب، وأشاع في قلبه الطاهر خوفاً لا مبرر له على الإطلاق.. لتكن في الظلام، وليكن كامل شياع على محفة من نور.

الذكرى الأولى لرحيل كاملنا

خليل الموسوي

حين طلب مني الكتابة في هذه المناسبة لرثاء كاملنا كنت كما لو إني اسمع صوته من بعيد وأتمثل حياءه النبيل. كان أصعب طلب للعثور على الكلمات التي تليق بهذا الاسم الكبير وتستحق ان تعلق على صدره، ولكي تصف ظاهرة ممزوجة وغير قابلة للانفصال مابين كامل كفرد وكامل مكمل لمجموعتنا. نحن الذين تقاسمنا معه السكن والمعيشة، خلال مشوار راديو الناس، في ظروف مرت على العراق تعتبر من أصعب فترات التاريخ. في ظل الاحتراب الطائفي ووصول البلد الى حافة الهاوية فكان رفيقنا وصديقنا الراحل مصدر مسرتنا وبهجتنا، وملاذ أسئلتنا الشائكة عما يجري.

فكيف يمكن ان نصف كامل شياع كفرد بالشكل والمحتوى والظاهرة؟ ومن أين نبدأ؟ ان بساطته وأناقته وتواضعه دليل واضح على عمق المعرفة والثقة بالنفس والترفع على الصغائر والادعاء، مقابل ذلك التدفق نحو استهواء كل ما هو جميل وأنيق وبريئ، وتلك القدرة العجيبة على التقاط تفاصيل الحياة التي لم يكن ليراها الآخرون. كان بهذا المعنى رجل مستقبلي بكل ما تعنيه الكلمة، ومن هنا كان قادرا على إسعاد نفسه بأبسط الأمور، وله القناعة بترتيب أولوياته كمصدر إشعاع للعام قبل الخاص.

كامل كظاهرة متفان في كل عمل يناط به أو يأخذه على عاتقه، انطلاقا من رغبته في إيصال المعرفة البناءة والمتنورة والتي تلتزم إسعاد البشر باستخدام أدوات التفكير المتجددة المتطورة المتفتحة. ففي نقاشاتنا الطويلة والواسعة في جوانب المشاعر والأحاسيس واللغة والفلسفة ومعرفة الذات وأدوات التحليل للظواهر الاجتماعية بصورة عامة، كان كاملنا ملهما لإنتاج أفكار وبرامج إذاعية على مدى دورة إذاعية كاملة. كان يركز، على سبيل المثال لا الحصر، على إمكانية تحليل الكثير من الظواهر على أساس مثلث متساوي الأضلاع، فاليوم 24 ساعة مقسم الى 8 ساعات عمل (أكاديمي) و8 ساعات عمل (اجتماعي) ثم 8 ساعات عمل (شخصي) فالتوازن فيما بين هذه الأضلاع الثلاثة ربما ينتج عنه الهدوء النفسي للإنسان ليتمكن من تجديد قدرته على تطوير معرفته وأدوات التفكير الشخصية، كما ان هناك مثلث متساوي الأضلاع آخر ما بين المعرفة في أحد الأضلاع والحب والعمل، والعلاقة فيما بين الثلاث تنتج التوازن في شخصية الفرد.

ولم تكن تلك المناقشات لتزجية الوقت بل إنها كانت تتجه الى البحث عن مفاتيح الحل للمأزق الذي نعانيه، وكانت تتسع لمواضيع الساعة ومواضيع عامة ودور الثقافة التي تعتبر أحد أضلاع المثلث (المعرفة)، المهم جدا ولا يمكن الاستغناء عنه فيما إذا أراد الإنسان ان يعيش حياة متوازنة.

كان لكامل هدف أو التزام إنساني هو تقديم ما يملكه من معرفة ليضعها تحت تصرف المؤسسات ذات الاختصاص والمنظمات المهتمة بالشأن والأفراد الذين لهم القدرة على التعلم وقد مارس هذه القدرة بمهنية عالية بالرغم من المضايقات

والمحاربات والمنغصات والمطبات والصراعات التي وضعت أمامه، إذ تغلب عليها جميعا بسموّ نادر المثال، وصبر هو صبر العلماء وأصحاب المشاريع التنويرية العظيمة، ولم يفقد البوصلة وهو يتجه الى هذا الهدف.

كيف يمكن استذكار كامل شياع؟ هل نبدأ بمشاعرنا وأحاسيسنا حيال الخسارة الفادحة، بكل المستويات، لفقدانه؟ أم نمر به في هذا اليوم سرداً بمعرفته وشخصيته وأناقته وهدفه وقيمه؟ أم نرثي حالنا للفجوة التي أحدثها رحيله الفاجع وللفراغ الذي تركه؟ أم نقف عند الجريمة المروعة التي ارتكبها ذلك القاتل المأجور، الجاهل، الأمي، الجبان، شبيه الإنسان الذي وضع نفسه في خدمة الردة والهمجية للإطاحة بجبل الثقافة وقاموس المعرفة؟ كيف لنا ان نصف سقوط كامل شياع في ضجيج كثيرا ما كان يبغضه مقابل عشقه للهدوء والصدق ورفعه الشأن العام؟

كيف نصف الذين يحاولون جاهدين تكريس الردة والخرافة وثقافة الإلغاء التي هي نتاج لثقافة الحروب والقمع الإرهاب والحصار والتخلف؟ والذين يعتاشون على تجهيل وتسطيح الفرد ويستأجرون قاتلاً ليغتال المثقف الذي يصف الإنسان بمجموعة من المشاعر والأحاسيس قبل ان يكون أفكارا ومبادئ؟

كيف نصف المتهالكين والمتقاتلين على المصالح الذاتية والحزبية الضيقة ويخططون لاغتيال الإنسان الذي عانى من الغربة والمنفى مناضلاً عنيداً ضد اعتي دكتاتورية عرفها تاريخ العراق ولأكثر من خمسة وثلاثون عاماً، ذاق الألم والشوق نتيجة مواقفه الوطنية الخالصة ولم يستطيع المال من حني قامته بالرغم من الصعاب، إيمانا منه بقضية شعبه. وحين عاد الى الوطن ولم يجد ما كان يحلم به فشمر عن ساعديه ليكون عامل بناء للثقافة والمعرفة من اجل إعادة بناء الوطن بمستوى لائق للعراق. ولم تكن آلام المهجر ولا شواهد الاضطراب والتخلف لتثير فيه اليأس، فبقي متمسكا بأمل استعادة العراق حتى آخر يوم من أيامه:

(كم داء يولد المنفى، وأي شفاء يورث الوطن)

ان كامل شياع وحده فريق بحث في الثقافة، وكان يتأمل بعمق سحرها وتأثيرها ويختصر الأمر بالقول: إنها الباقية عندما يزول كل شيء، ويحرضنا دائما نحو الهدف الذي يشغله وييسر لنا الآلات التي نسعى بها: الثقافة، المعرفة، الموسيقى، الفن، الأدب.

لربما اوجد بوصلة حيث نتحدث إليه الآن وفي كل يوم ونسمع صوته متحدثا إلينا متذكرين آراءه وهدوءه ومهنيته وأخلاقه العالية جاهدين الى تربية أنفسنا وناسنا عليها.

لقد رحل كامل شياع بوقت يحتاج بلدنا إليه، وما يخفف عنا بعض الشيء ان بصماته لا تزال نابضة وحية، وقد تركت في نفوس المئات أعمدة نور ليسيروا على هديها في طريق المعرفة والثقافة ومحاربة التجهيل والتخلف بإنارة الضوء للفكر المعرفة مستنجدين ان الأمل بالتنوير والمعرفة هو طريق بناء مجتمع ينشأ فيه أطفالنا بالبهجة والسعادة التي يستحقها الإنسان في عمره القصير.

كانت أحلام وأماني كامل شياع هي ان يتمتع، بكأس قهوة مع ولده الياس في جلسة على مشارف القشلة، أقدم أحياء بغداد، واستئجار غرفة أو شقة على شارع أبي نؤاس لإطلاق مخيلته بجمال دجلة الخير. تصوروا أي أحلام بسيطة وأنيقة وإنسانية كانت تزخر بها روح شهيدنا الراحل.. هلا نقتفي بعض خطاه !!

قضية كامل شياع!

رضا الظاهر

الأسئلة حول مصرع كامل شياع يجيب عليها تألقه كمثقف قدم نموذجاً نادر المثال في فكره وسلوكه وحياته، نموذجاً أثار خشية الظلاميين منه، وحقدهم عليه، فقرروا تصفيته جسدياً.
والهدف من وراء قتله، ببساطة وجلاء، هو قتل المشروع الذي سعى إليه، مشروع إحياء الثقافة الوطنية، وإعادة الاعتبار للعقلانية، وإرساء أسس الديمقراطية، شرط حرية الإبداع.
كان نموذج كامل تجسيداً ساطعاً للتفاعل بين المثقف والسياسي، بعيداً عن ابتذال الآيديولوجيا، وقريباً من مجابهة أسئلة الواقع في إطار ذلك التفاعل كتجلٍّ للتنوير وضرورة للتغيير، عبر موازنة بين الهمّ اليومي والمرتجى الجمالي.

وكان من بين دلالات إصرار كامل على مواصلة التحدي والعمل في أقسى الظروف ما يؤكد على إمكانيات نهوض الثقافة الوطنية ودورها في بناء المجتمع . وعلى الرغم من أن ما تحقق في هذا الميدان يبدو ضئيلاً على السطح، فضلاً عن كونه مسألة مثيرة للجدل بسبب تركة الاستبداد وأجواء العنف ومرارة المعاناة ويأس المثقفين من قدرات "السياسيين" على استيعاب قضية الثقافة، على الرغم من ذلك فان من يرصد، بعمق، التحولات التي جرت في حقل الثقافة، وسط التباسات "انتقالية" محبطة على أكثر من صعيد، يمكن أن يرى إنجازاً واعداً يرسي أسس انطلاقة حقيقية إذا ما اقترن بإرادة وإصرار من المثقفين والقوى الحية في المجتمع التي تعول على الثقافة كرافعة للتحول الاجتماعي.

ويضعنا هذا، من بين حقائق أخرى، أمام الدور الاقتحامي للمثقفين، وهم يتمسكون بخصوصية مسعاهم الجمالي، ويكافحون "السلطة"، بسائر أنماطها، وهي تبذل كل ما تستطيع وتستخدم كل الوسائل، لإشاعة ثقافة الخنوع وتأبيد الواقع وإيقاف التنوير والتغيير، لأن هذا هو ما يفضح ويعوق امتيازات أهل تلك "السلطة."
ولا مبالغة في القول إن جريمة اغتيال كامل شياع تشير الى ملامح مرحلة جديدة في الخطر الذي يواجه ثقافتنا الوطنية. لقد قتل الفاشيون لوركا، وكان ذلك إيذاناً بالهجوم على الثقافة الديمقراطية في أسبانيا، وقتل الظلاميون حسين مروة، وكان ذلك إيذاناً بمرحلة جديدة من حرب الطوائف وحصار الثقافة الديمقراطية في لبنان. وارتكب أشقاؤهم الوحوش جريمة قتل كامل شياع إيذاناً بمرحلة جديدة من الهجوم على الثقافة الديمقراطية في بلادنا.
أما عاصفة الإدانة المتعاظمة، التي تتخذ أشكالاً متنوعة، تجسد حيوية المثقفين، وبينها بيانات استنكار للجريمة، وتضامن مع الضحايا، وفيض مقالات كتبها رفاق وأصدقاء كامل، ومبادرات مثقفين أحيوا في لقاءاتهم الحميمة ذكرى الراحل الغالي، فستظل متعاظمة لا للمطالبة بالكشف عن الجناة ومن يقف وراءهم حسب، وإنما، أيضاً، للتأكيد على ضرورة حماية حياة المبدعين. ولعل هذا التحرك الواسع لخيرة مثقفات ومثقفي شعبنا يعبر، من ناحية، عن تقدير رفيع لمثال كامل، ومن ناحية أخرى عن إحساس بإمكانية تحقيق المشروع الحلم الذي كان كامل مقتنعاً به على نحو راسخ وهو في خضم التراجيديا التي انتهت به شهيداً للفكر.
إن ما يبدو نجاحاً للقوى المعادية للعقلانية والتقدم هو ناقوس خطر لكل من تعز عليه قضية الثقافة الوطنية، وهو، أيضاً، مؤشر على الذعر الذي ينتاب هذه القوى التي عجّلت بقتل كامل، في مسعى يائس للتمهيد لعهد جديد من

الاستبداد لن يكون أقل تدميراً من استبداد الدكتاتورية.

وقضية استشهاد كامل أكبر من مجرد تصفية حسابات سياسية أو اغتيال مثقف أو قائد سياسي .إنها، بايجاز، معركة على البديل، وعلى نتائجها تتوقف مصائر وجهة التطور في بلادنا . ومن هنا أهمية الشروع بحملة شاملة تتجاوز الغضب الآني والحماس المؤقت، وتتحول الى حركة يساهم فيها سائر المثقفين بشتى انتماءاتهم وتبايناتهم الآيديولوجية. ولابد أن يسعى المشاركون في الحملة الى تنسيق الجهود وإدامتها عبر خطة مدروسة وآليات عملية تنطلق من دلالة استشهاد كامل وتربط قضيته بقضية الثقافة. ويتعين أن تتحرك هذه القضية في الوطن عبر المؤسسات الحكومية المعنية والبرلمان واتحاد الأدباء وسائر منظمات وجمعيات الفن والثقافة، وفي الخارج عبر التوجه الى الأمم المتحدة واليونسكو والبرلمان الأوروبي والمنظمات الثقافية الدولية ومنظمات حقوق الإنسان والشخصيات ذات المكانة الثقافية المؤثرة.

كامل شياع شهيد الأمل. ولابد أن يحفز هذا الاستشهاد المثقفين، بسائر تلاوينهم، على تحقيق وحدتهم، ذلك أن قضية الثقافة قضية وطنية لاقضية جماعة أو طائفة أو حزب. أليس جديراً بمثل هؤلاء المثقفين أن يعدّوا لما هو جدير بكامل شياع، وأعني، على سبيل المثال، مؤتمراً ثقافياً لإحياء ذكراه والتعريف بسيرته الإبداعية والكفاحية، ونشر إنجازاته. مؤتمر كامل شياع السنوي. مؤتمر الثقافة الوطنية العراقية؟

****

ستهدأ الأحزان على رحيل كامل لتمسي أعمق، فهذا من طبائع الحياة. غير أن للحزن العميق جذوة لابد أن تجد ما يوقد جمراتها.. وإبقاء قضية كامل شياع حيّة هو ما يوقد هذه الجمرات..

أناديكم أيها الحريصون على الثقافة الوطنية والقيم الجمالية والحياة الإنسانية، بل أحرضكم يا محبي المثقف القديس كامل شياع على أن تستنهضوا الهمم والضمائر، وأن تفعلوا كل ما بوسعكم دفاعاً عن القضية السامية.. قضية كامل شياع!

طريق الشعب - 2/9/ 2008

كامل.... نشتاق إليك لتباغتنا ببسمتك الدافئة

د. صالح ياسر

عام يمر على رحيله كأنه الدهر بطوله. ففي الثالث والعشرين من شهر آب 2008 اغتال قتلة محترفون، المفكر والمناضل والباحث كامل شياع، بمسدسات كاتمة للصوت وهو في ذروة عطائه الفكري والمهني. يا للعار!

تلك الرصاصات الغادرة لم تكن موجهة لكامل كفرد بل كانت موجه ضد الثقافة الوطنية الحرة والديمقراطية، وضد الفكر التنويري والعقلاني.

القتلة، كعادتهم، مصابون بالعمى.. يسيرون عكس حركة التاريخ الصاعدة.. ولعلهم وأسيادهم لا يدركون حتى هذه اللحظة ان دماء كامل أينعت آلاف الزهور التي تنبض بالأمل وبالحياة، وتكافح من أجل تجنيب الناس مرض "الإيمان " بقتل الآخر، لتنقلهم الى عافية الوعي.

حين غادر النظام الدكتاتوري مسرح الحياة الى مثواه الأخير غير مأسوف عليه اتخذ كامل قراره الحاسم...غادر شقته الجميلة وعمله في بلجيكا حيث الهدوء والأمان، وودع ابنه الحبيب ألياس ليعود الى بغداد التي وجدها ما زالت مكللة بجروحها التي سببتها حروب وقيامات الدكتاتورية المتعاقبة ونيران الاحتلال وفلول التكفيريين والقتلة مدفوعي الأجر. وباستبداله الورود الجميلة بالقبض على جمر نار بغداد ودخان حرائقها أكد كامل انه ليس مجرد مثقف يقتصر نشاطه على الحقل الفكري، بل هو أيضا مناضل على جبهة الواقع، يمارس نشاطه العملي بالبداهة نفسها التي يمارس فيها عمله النظري/الفلسفي ولا يجد بينهما أي تعارض، انه نموذج المثقف العضوي الذي تحدث عنه المفكر الماركسي الايطالي غرامشي. ومنذ ان وطأت قدماه ارض بغداد امتشق كامل عدته الفكرية خائضا الصراع على جبهة الثقافة الساخنة، مناضلا من اجل تدشين مشروع تنويري حداثي ديمقراطي عصري، وبناء العراق الجديد الذي طالما حلم به بعد عقود عجاف من الغربة ومن الدكتاتورية البغيضة.

كان كامل شديد التواضع رغم ما يمتلكه من ثروة معرفية، وكان يتلبسه هدوء جميل. ولكن هذا الهدوء لا يستمر طويلا.. فعندما ينطلق الحوار... يكون كامل قد توثب وبدأ يطرح أسئلته التي تتناسخ.. ولم يكن من أولئك الباحثين عن أجوبة معلبة وجاهزة بل كان يحلق بمحدثه في فضاء المعرفة رافعا الحوار الى مستوى راق. ولم يكن احترامه للآخر مجرد " فرض واجب "، بل هو ممارسة فعلية حقة. كان كامل واضحا، يشرح دون كلل مشروعه ورؤيته لبناء ثقافة وطنية وديمقراطية وعابرة للطوائف ومتجاوزة لخنادق المتخاصمين اللذين اتفقوا على ان لا تقوم هذه الثقافة لأنها حفارة قبورهم.

من يتذكر عامي 2006 و2007 يدرك أنهما كانا عامين كئيبين بحق... لقد توجب على كامل ان يفلت يوميا من كمائن الموت القتالة عندما كان ينتقل من الرصافة، حيث يسكن، الى الكرخ حيث مقر عمله. لا زلت أتذكر وصفه لمشاهد الموت الرخيص اليومية... أكوام رصاص وأشلاء جثث متناثرة أو سيارات محروقة على الجسر الذي تعود

ان يعبر عليه في رحلة الموت اليومية، فالقناصة قبضوا ثمن ذبح العراقيين مقدما. لقد كان رجال الموت "كرماء " في ترصدهم للجميع وهم يمرون مسرعيين في شوارع بغداد، رغم كل ذلك كان كامل معبأ بالأمل. عندما كان يشتد السجال وتضيق فسحة الأمل، كان كامل وبمنطق الحكيم يردد عبارته الأثيرة: ***العنف حالة عابرة، والسلام لا بد ان يعود ذات يوم... هكذا هو منطق الحياة***. كان القتلة يسعون، عن سبق إصرار وترصد، الى فرض منطقهم بجعل العنف " عادة دائمة "، والأمن والأمان حالة استثنائية. غير أنه كان لكامل موقفا آخر، وذلك من خلال إصراره على الترويج للمشروع التنويري الذي ربط مصيره به، وهو هنا لا يمثل شخصه.. بل كان يمثل كل المثقفين الحريصين على بناء عراق ديمقراطي حر ومستقل. ورغم كل المصاعب والمصائب لم ييأس كامل ولم يعجز.. فقد اتقن مهنة تفتيح العيون والعقول. هكذا إذن كانت الأسئلة التي صاغها تمثل نقيضا لتلك الأسئلة التي برع في طرحها الطائفيون ورجال نظام المحاصصات السيئ الصيت لمنع بلورة بدائل عقلانية لمشاريعهم التدميرية. لقد راهن كامل على المشروع الوطني الديمقراطي الحضاري التنويري الحداثي في مواجهة تلك مشاريع. ولأنه رفض، منذ البداية، ان تشنق الكلمة الصادقة على مذبح الوعود الكاذبة لبعض " السياسيين " والقتلة المحترفين، مهما اختلفت جنسياتهم ومذاهبهم، لذا فقد كان كامل يحمل كفن استشهاده على كتفه كل يوم بل قل كل لحظة.

في حواراتنا وسجالاتنا الفكرية كان كامل في مقارباته للأمور والأحداث حريصا على التخفيف من الاتكاء على ما هو جاهز من الأفكار والصياغات. وكان يتكأ على قاعدة راسخة قوامها ان لا قيمة فعلية لممارسته النظرية خارج إطار الاندماج في الممارسة العملية، لذا كنت تراه وسط بسطاء الناس غير هياب بالمخاطر وكمائن الموت القتالة.

هكذا إذن كان بالإمكان رؤية كامل ومنذ ساعات الصباح الباكر يتنكب منيته ويغادر المكان الذي بات فيه ليلته متوجها الى مقر عمله عابرا دروب الموت اليومية، ثم يحضر الندوات، يزور الأصدقاء كلما سنحت فرصة. وفي المساء يدلف الى شارع أبو نؤاس حيث مقر مجلة (الثقافة الجديدة) وجريدة (طريق الشعب)، وهناك يحاور ويناقش ويستمع ويصغي ويقترح ويعمل بدأب على انجاز عدد جديد من المجلة ليدفعه الى المطبعة.. يقرأ.. يتابع جديد الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية والفلسفة والفكر والرواية والقصة والشعر. انه نشاط موسوعي نادر.

مرّ عام على رحيلك يا كامل.. وها نحن ننتظرك حاملا وردة... ولنعاتبك لأننا لم نعتد طول غيابك وأنت الذي عودتنا مباغتا إيانا ببسمتك الدافئة كبسمة طفل، وبروحك الشفيفة، وسيكارتك المتأنقة وعشقك للشاي الممزوج بالنكتة الطازجة.

نعلم ان استشهادك الدامي يشهد بان الطريق طويل، وان يوم فرحنا الحقيقي ما زال بعيدا، لكنك ستظل دائما ملهما لمن أحبوك.. لتنم في رقدتك الخالدة.. ولتطمئن بأن هناك مصباحا للتنوير سيظل مضيئا رغم العتمة، وسيواصل حمله من تعاهدوا على حمل رايتك وقضيتك النبيلة.

لقد تركت لنا يا أبا الياس زادا كثيرا من الذكريات التي لا تنضب والمثل النبيلة التي لا تشيخ. أما القتلة فما زالوا يمارسون، كعادتهم، لعبة الموت ومشاهد الدم وكواتم الصوت مشرعة. ربما يكون القتلة قد ربحوا معركة عندما صوبوا طلقاتهم نحو رأسك المليء بالحكمة والمعرفة والتنوير، ولكن الأمور تقاس بخواتمها، فالقضية التي استشهدت من اجلها ستنتصر في نهاية المطاف.

على هذا ترصدته الذئاب واغتالته

د. عامر حسن فياض

عرفت كامل شياع شخصية تسكنها خصائص التفتيش عن ايجابيات الآخر المخالف والتسامح والتحضر، وقوة التحمل، وصنعة الابتكار، والولع بالثقافة، وتمجيد قيم الحياة.

هذه الشخصية البناءة أدركت تماماً، ان الحياة ينبغي ألا تغدو رهينة، الى اجل غير محدود، بأيدي عصابات محلية وكوزموبوليتيه، تحترف الهدم والاستئثار والتعصب.

وعلى هذا ترصدته الذئاب واغتالته فتجدد تلوث وجه العنف بغبار الأزمنة الغابرة... ولكن هنا (كامل شياع) على موته واقف بإرثه الثمين متصالحاً مع الدهر الذي احتضن محبيه وقاتليه.. جسد مفخخ بالخير.. وقلب، لا تموت أمانيه، يشدو بملحمة المحبة... ورأس ممتلئ بالعقل.. وعقل مشكاة معرفة ينطق بالحكمة ...وفم لا يقبل اللجم.

وحين قتل الطيب جداً في الشوارع السريعة (أين كانت كلاب حراستها) أكانت تحرس القتلة؟ (أم كانت تهز الذيول لمن يعتليها؟).

إن رحيل (كامل شياع) يمثل لحظة سرمدية من لحظات انطفاء المعنى الايجابي للحياة.. وكامل شياع، مثله مثل كل العراقيين بطبيعتهم الشغوفة بقيم الحياة وأسئلة الخلود، لم يكن مفتوناً يوماً بطائفته أو عرقه على حساب الملاذ الأوفر لتحصيل الأمن والمكانة والاحترام.. ملاذ عراقيته الحنونة وإنسانيته التي ستبقى مسكونه في قلوبنا وعقولنا.. فقد طال احترام الرجال للطيبين وسيطول لك لان وجهك عرش من الطيبات أيها الكامل.. ايها الطيب جداً..

كامل شياع.. الاغتيال كأسلوب لتصفية الآخر

عبدالمنعم الاعسم

نحن، وكذلك المحققون في الجريمة، لا نزال نسأل: لماذا اغتيل كامل شياع؟ ومن هو الذي كان شهيد الثقافة العراقية عقبة أمامه لكي يزيحه؟ بل ومنذ الذي احتل الموقع المفترض الذي كان يحتله شياع؟ ومن صاحب المصلحة في هذا الفعل الذي يدخل في باب الاغتيال لتصفية الآخر؟ نحن نطرح السؤال لعلاقته بالحرية، كأعلى قيمة من قيم الحياة، وأرقى ممارسة للبشر، إذ اعتدي عليها في وضح النهار. أما المحققون فإنهم معنيون من وراء إثارة هذه الأسئلة الوصول الى الجاني، ولا يعنيهم بعد ذلك البعد الآخر للجريمة والموصول بمعادلة الحرية والحياة، وربما لهذا السبب لا تهتم

كثيرا للمعلومات المتداولة عن مخطط الجريمة والشبهات التي تتدحرج الى هذا الجانب أو ذاك كمتورطين فيها وكأننا على يقين أبدي بان "للحرية الحمراء باب/ بكل يد مضرجة يُدق" وان يد كامل شياع كانت يدنا نحن في واقع الأمر، كنا نكتب بها ثم نلوح بها الى عالم جديد.

قد نجد في هذه المقدمات نوعا من السلوى لما حل بنا في فقدان كامل شياع في وقت كنا أحوج ما نكون إليه.. لكنه الاغتيال الذي يحتل مكانا في ذاكرتنا وفي سفر الكتب والمرويات.

قبل كامل شياع بثلاثة وتسعين ألف سنة، بحسب المرويات التوراتية، اغتيل هابيل علي يد قابيل، ومنذ ذلك الوقت أثثت الخليقة مسارها الطويل بهذا الأسلوب لإزاحة الآخر، وخوضت البشرية في حوادث اغتيال مديدة تفنن فاعلوها باستخدام مختلف الأساليب والأدوات: من الحجر الذي فجّ فيه قابيل رأس هابيل الى كاتم الصوت الذي سقط فيه كامل شياع مرورا بالسيوف والخناجر والبلطات والسم والرصاص، فسال دم كثير من تحت الأبواب ومن فتحات النوافذ وعلى أسرة النوم وفي الخيام والكنائس والمساجد وبيوت العبادة وقصور السادة وعلى الأرصفة وفي الشوارع الليلية وتحت قبب البرلمان وحطام الطائرات، وألقيت جثث الضحايا في العراء أو الى موج البحر أو دست الى باطن الأرض، وبعضها لم يعثر عليها، وثمة الكثير من الجناة طالهم العقاب وبعضهم الآخر بقي مجهولا وبعضهم الثالث اختفى مع شبهة الفعل الشنيع.

في هذا السجل الطويل ثمة ضحايا دفعوا حياتهم في دورات انتقام عن قتلى، أو في محاولات ثأر لآخرين، أو خلال تنافس على المصالح والامتيازات، لكن السجل الأكثر اتصالا بقضية الحرية هو الذي يضم بين دفتيه أسماء ضحايا من أصحاب المشاريع الإصلاحية والمتنورين والرائين والمحرضين على مواجهة العسف، المدافعين عن العدالة، المنزهين عن التواطؤ، الأمر الذي جعل من سقوطهم قتلى في عمليات اغتيال مدبرة بمثابة ترميز للصراع بين الحق والباطل، واستمد من دمائهم مدادا لإبداع الفكر الإنساني، وليس ثمة من ينكر بصمات الإمام علي وغاندي والمتنبي ومالكولم ايكس وغارسيا لوركا وحسين مروة وعلي فودة على صفحات التاريخ المشرق للإنسان، وفي ثنايا الكفاح من اجل الحرية

والعدالة، كما انه من السذاجة إطلاق التساؤل: إذا لم يكن هؤلاء الإعلام قد دعوا أو حرضوا على قتل احد، فلماذا قتلوا؟.

على ان المثقف، المعنيّ ببناء نظرية العقل والتغيير، يصبح في مرحلة معينة موضوعا للاغتيال، أو مهددا به، فهو هنا (الآخر) المعني بالنسبة للقوى التي تخشى العقل ويهددها التغيير ويصبح مطلوبا إزاحته، أو على وجه الدقة إسكاته، وقد يجرب احد المثقفين المشغولين بإثارة الأسئلة المحرمة، مثل سيد القمني، الصمت حتى تمر العاصفة، لكنه يرتكب نوعا من المهادنة لن تضمن حياته، وقبل هذا لم تضمن تهدئة خواطر الانتقام لدى الاستئصاليين الذين يخشون الأسئلة، ولم تكن لتدفعهم الى مراجعة منهج الاغتيال، وإذ عاد القمني الى معركته الفكرية فقد استطاع تحسين

دفاعاته وربما استرد ضمانات سلامته على نحو أفضل، لأنه هذه المرة قد لجأ الى السلاح المجرب المتمثل بالإيمان بحق الحرية في التعبير والممارسة، لتكون حياته جزءا من جذوة الحرية والحياة، لا تنطفئ إلا بانطفائها.

السؤال الرئيسي هو لماذا ينحرف حوار الآراء (أو اختلافها) الى العنف وتصفيات الحساب واغتيال الآخر طالما ان الآمر يجري أمام الجمهور وقيد قناعته؟ والسؤال في هذا السياق، يتعلق إذن بفلسفة التعايش، أو التقابل، بين الأفكار والإرادات، وهو سؤال ذي أهمية لأنه يوصلنا الى الحقيقة التالية: الاغتيال كان وسيبقى الى حين سلاح القوى الأكثر تطرفا وانكفاء وعدوانية لكسب جولة الصراع مع الخصوم، فيما الكلمة وجمرة الوعي سلاح قوى التنوير والعدالة، فمن الطبيعي هنا ان يستخدم "المحاور" سلاحا من جنس مشروعه، ذلك يستخدم الرصاص، وهذا يستخدم الكلمة، والمسافة بينهما هي المسافة التي قطعتها البشرية من الغابة الى الدولة.

بصرف النظر عن جنس هوية القاتل الذي أطلق رصاصات الموت الى كامل شياع فانه بداهة ينتمي الى نقيض "فاشي" لفكر التنوير الذي بشر به شياع، وينحى الى تصفية الآخر لفرض سيادة الصوت الواحد. هذا خيط مهم لترسيم وجه الجريمة. الفاشي الكابتن غورنغ كانت كلمة الثقافة وحدها تثير فيه الرغبة باغتيال صاحبها، ورد عليه توماس مان بالقول: اعرف ما تريدون.. تحويل الشعب الى قطيع محروم من التساؤل" ومنذ هذا الوقت، ثلاثينيات القرن الماضي، صدّرت الفاشية العدوانية تجربتها الى السلطات الدكتاتورية وجماعات الإرهاب وقوى الهرطقة الدينية، وصار اغتيال المثقف الرائي، وإسكات صوته، من بين لوازم إلحاق الهزيمة بالمدنية والديمقراطية.

أستطيع القول، وقد قال الكثيرون هكذا، ان لا خصوم شخصيين لكامل شياع، لكن من يستطيع ان يجازف بالقول ان مشروع كامل شياع لإعلاء العقل لا خصوم له في بيئة يمر العقل فيها بالتباسات وضياع؟ بل من يستطيع ان يزعم بان خصوم رسالة كامل شياع التنويرية الذين استشعروا خطورتها أبرياء من دمه؟ هذا إذا كانت المرحلة التي نعيشها قد تحررت من منطقة الغموض وجرى استيعاب تعقيداتها وتداخلاتها، والحق ان مثل هذا التأويل لا يزال يدور في دوامة الفرضيات، فان سقوط كامل شياع في عملية اغتيال نموذجية وبعد خمس سنوات على التغيير والاحتلال، يضع على

عاتق المثقفين المتنورين مسؤولية تبني الأسئلة التي أثارها وتركها في منتصف مشواره، وتطويرها قدما نحو استرداد العقل وهيبة الحرية، وبذلك نجيب على اطلاقات كاتم الصوت التي أسكتت صوته في ذلك اليوم الفاجع.

البهي دائماً

عريان السيد خلف

ما بين الحركة وظلها، ما بين الباعث غير المفهوم والفعل غير المفسر.. ما بين الضوء وانعكاسه على مرايا التأمل، ما بين الطلقة الجبانة وانبجاس الضوء من شغاف القلب الضاج بالمحبة والألفة والألق.. ما بين الموت والحياة.. تعريف واضح.. (فالحياة غطاء شفاف والموت حجر يثقب الحياة).

يا فارساً في تيه الصداقات.. حين حكى قلبك لقلبك آخر أمنيات الأمس، كنت تلامس جراحك كمن يقطف ثمار التفاح من شجرة مباركة.. ورغم هذا الشعور الضمني بالانزعاج من وحشية الخطاب، فقد تجلى بوضوح مدى عبثية العالم، وفقدانه للسببية القانونية... لقد تساوى الفعل برد الفعل عند أحبائك.. لان قتلتك يشعرون وهم يقتنصونك بالسعادة القصوى.. إذ يسكتون صوتاً لا يقول كلاماً فارغاً.. ونحن نشعر بالأسى البالغ، لأننا ندرك ما تريد قوله.. وهكذا انتصرنا بالمعرفة.. وانهزموا بالتشتت وعدم الإدراك.

ولأن القاتل قطعاً هو المهزوم.. انتصرتَ بعلوِ هامتك البهية، وأنت تجبرهم على الخشية والهروب والتخفي.. كان دمك الراعف هو الرد الفعلي على جبناء الكواتم المؤسساتية.. وكنت (كملك يلتقط تاجه أو كقائد أطلق عليه الرصاص من الخلف).

ولأنك تدرك النشوة في مذاق قهوتك الممزوجة بالهيل.. وعبق طرائفك السريعة والمختصرة.. وهمسك بالتحية المؤدبة.. وشغفك بالمطالعة والتأمل.. وسعيك لاكتشاف ضفة أخرى في خليج الثقافة والفكر.. وحسك القروي الخجول.. ونبوءتك بسعادة الغد.. وإصرارك في الحصول على متسع من المحبة.. أعطاك حق الرهان على قلق المواسم وبهجت الأيام وانثيال الفصول على عالم رحب يتسع للتشابه والتضاد.. ولانك كنت تؤثث لدنيا يغمرها الضوء وينحسر فيها الظلام.. هاجمتك الخفافيش والعقارب على غفلة من سكون الزمن..

كان زورقه متعباً

وكانت خواطره الشرعة

تعلم ان لا يخاف الرياح

مشاكسة الطبع أم وادعة

ترجل يوماً بأرض الوفاء

وفي راحتيه حبوب وماء

رمى الحب فوق التراب

وأسقط من مائه قطرة ثم غاب

لن يكون لهم اسم كإسمك.. ونجم كنجمك أيها الناصع بالضوء حد التقديس، والعابق بالذكر كوهج الياسمين.

كلما مررت على مشهد بعثك وكهانك الشامخ في شارع الموت.. أردد:

أنشدك يا طريق الموت..

گلي اشسولف اشوصه

ابذمتك بالمنيه أحچيلي القصة

يوم الي رصاصات الغدر صبن

انشدك هم رجف من طاح

ويرد الصوت..

چذب كلمن يگلك طاح

ثبت متسنح بهيبه

چنه يحوي بتفاح

انتصَب وايده على صوابه

وبلسانه الذرب كمل سلامه

لحزبه واصحابه

البناؤون

إلى كامل شياع

عبدالكريم كاصد

-1-

حين قدمتَ إلى الجحيم

بجناحي ملاكٍ

وقلبِ طفلْ

لم يكنْ في انتظارك أحدٌ

لأن الجميعَ هنا قادمون

"لبناء الجنة":

الطيبون والأشرار

الملائكة والشياطين

اللصوصُ والقتلةْ

ماذا كنت ستفعلُ يا كامل في هذا السيرك؟

أيةَ نارٍ تطفئ؟

أيُّ جدارٍ تبنيهِ لجنتك الخضراء

وسط جحيمٍ

أوّلهُ ليل

وآخرهُ ليل

أيّ طوائفَ تجمعها؟

وإن اجتمعتْ فلذبحك أنت

-2-

إنها ليست بأوروك

لترفعَ أسوارَها عالياً

ولا غابةِ الأرز

لتقتلعَ الوحش

هنا

ينطقُ الصمت

بلسان الصرخاتْ

ويقف الظلّ

حائراً

في طريقهِ إلى البيت

هنا

تسهر الأم نائحة

تهزّ قبرَ طفلها

كالمهد

-3-

- ماذا تبصر في البيت؟

- قبراً

– ماذا تبصر في القبر؟

– عائلة

– ماذا..؟

-4-

من أين نبتدئ الرحلة؟

والقطارات

ذاهبة

أو

آيبة

لا فرق

من أين؟

والمحطاتُ مكتظةٌ بالجنازات

وكلماتِ نعينا.. أنا وأنت

ماذا نترك أو نحمل؟

أيّ ظفائرَ قُطعتْ؟

أية أحلامٍ نُهبتْ؟

-5-

يا كامل شياع

الطريق التي ابتعدتْ

ملأتها الإشارات

والخطى العائدة

وتلك الشواهد

تبصرها؟

أ نسكنها وننام

بانتظار القيامة؟

قيامةِ.. من ؟

يا كامل شياع

كامل شياع : قوة المثال الذي لايخبو

فاضل ثامر

لست أدري لماذا ترتبط صورة الشهيد كامل شياع في ذهني دائماً بصورة تمثال " المفكر" للنحات رودان. ربما لان هذا الكائن الصغير الهادئ ، الصموت غير المشاكس يخفي وراء صمته المخادع شعلة متقدة من الذكاء وبصيرة عميقة ، وقدرة مذهلة على إيجاد حل عقلاني لإشكاليات تبدو معقدة ومستحيلة الحل . فهو– ومعذرةً لهذه المقارنة مثل جهاز الكمبيوتر قادر بلمسة واحدة لان يقدم لك برنامجاً متكاملاً لفعالية ثقافية كبيرة أو لإشكالية ثقافية. هذا ليس حكما خارجياً مبنياً على المراقبة الخارجية ، بل متأتياً من معايشة ميدانية مع الصديق الراحل و المفكر والإنسان الذي خسرنا : كامل شياع .

ربما كانت المرة الأولى التي عرفته فيها كانت بعد سقوط النظام الدكتاتوري وتحديداً بعد استيزار الأستاذ مفيد الجزائري وزيراً للثقافة ، حيث شغل الشهيد شياع مركز مدير عام دائرة العلاقات الثقافية أولا ، ثم مستشاراً لوزير الثقافة لاحقاً . كان في عمله وعلاقاته مثال الرقة والدماثة والخلق الرفيع. كان يتعامل مع موظفيه وأصدقائه ومع الرؤساء والمرؤسين على السواء بمقياس إنساني واحد. لا يحب التملق والتزلف واستجداء رضا المسؤولين . كان الوازع الذي يعمل به اجتماعياً وأخلاقيا ومهنياً أيضا. كنت أتقاطع معه أحيانا، بوصفي رئيساً لاتحاد الأدباء ، حول مواقف محددة من وزارة الثقافة ، لكنه كان يقول ان مركزي يملي عليَّ مهنيا ان أقف الى جانب الوزارة في هذه النقطة، وان كنت في الأعماق أتعاطف معكم. وفي الأسبوع الثقافي العراقي الذي أقيم في طهران ألقى الأستاذ جابر الجابري كلمة وزارة الثقافة في لقاء ضم وزير الثقافة الإيرانية وعدداً من المسؤولين والعاملين في الحقلين الثقافي والإعلامي. وطلبت الإذن بإلقاء كلمة تمثل الأدباء والمثقفين، وكانت الكلمة مختلفة تماما، تتسم بالصراحة والشفافية ولاتخلو من عناصر النقد .حتى شعرت بان كلمتي ربما تكون قد سببت إحراجا للوفد الرسمي لوزارة الثقافة. وعند الانتهاء أشاد المرحوم كامل شياع بكلمتي وأثنى على صراحتي وتشخيصي لكثير من الإشكاليات الثقافية، وقال انه يتمنى ان يكون قادراً على قول أفكار كهذه، لكن صفته الوظيفية والمهنية تفرض عليه الحدود المرسومة لسلوكه آنذاك.

وإضافة الى التزامه بالمهنية العالية التي جعلته محط احترام جميع العاملين معه في الوزارة، فقد كان متواضعا ومحبا للعمل وخدمة الثقافة على الرغم من حالة التهميش التي عاشها في وزارة الثقافة بعد استيزار وزير آخر. إذ بقي مركزه شكليا، وجرد فعليا من جميع أو اغلب صلاحياته، وترك فترات طويلة دونما مكتب أو حمايات أو سيارة خاصة به ، ومنحت مثل تلك الصلاحيات لمسؤولين آخرين يقلون عنه كفاءة ونزاهة وعلمية بعشرات المرات .

لكن هذه المهنية العالية هي التي كانت تدفع بالوزراء الجدد الى تكليفه بمهمات يصعب على الآخرين تحقيقها ومنها رئاسة اللجنة التحضيرية لمهرجان بابل التي خطط لها بمهارة وذكاء وأدار منذ البداية سلسلة من الاجتماعات

التمهيدية الناجحة التي مهدت الطريق لانطلاق فعاليات المهرجان، لكن المفارقة هي ان يتقدم الصفوف الأولى موظفون ومسؤولون لاعلاقة لهم بالمهرجان ويدفع المقعد المتواضع لكامل شياع الى الصفوف الأخيرة حيث دعوته للجلوس الى جانبي، وكنت آنذاك عضوا في اللجنة التحضيرية لمهرجان بابل التي كان يرأسها، وكنا نرقب بإشفاق رجال الحمايات وهم يبعدون المنظمين الحقيقيين عن مواقعهم الطبيعية ،لكنه لم يتذمر،كان يدرك في أعماقه بأنه كان يضع لبنة متواضعة في صرح الثقافة العراقية ،ولم تكن المظاهر تشكل له أية أهمية خاصة.

وقبل عامين كلف برئاسة الهيئة العليا لمهرجان المربد، والتي أطلق عليها دورة سركون بولص وكانت قصيدة النثر هي المحور النقدي الأساسي. وكان له الفضل الأكبر للتخطيط لمحاور المهرجان وأنشطته ،ولايمكن تجاهل الدور الذي لعبه في الهيئة آنذاك الدكتور مالك المطلبي الذي ضمه الشهيد كامل شياع الى الهيئة،ووجدنا آنذاك صعوبة في اختيار المحاور والأنشطة ،لكني عتبت عليه لاحقا، عندما انسحب من رئاسة الهيئة مخلياً المجال الى مسؤول آخر انضم لاحقا الى عضوية اللجنة ،وعلل انسحابه بمشاغل طارئة اضطرته الى السفر الى خارج العراق، لكن الجوهر كما تراءى لي يتمثل في الرغبة في تفادي الاصطدام بالآخرين من ذوي الأجندات المتصلبة.

وحرصنا آنذاك وكنت عضوا في الهيئة العليا لمهرجان المربد على ان نحافظ على الإطار العام للمهرجان كما رسمه وخطط له صديقنا الراحل كامل شياع.

كثيرة هي الفعاليات والأنشطة التي اشتركنا فيها معا، وكنا نسعد بزياراته العديدة الى اتحاد الأدباء التي كان يطرح من خلالها اضاءات مهمة وثاقبة عن المشهد الثقافي وعمل اتحاد الأدباء ،لكن التظاهرة الثقافية الكبيرة التي لايمكن لها ان تنسى كانت تتمثل في تنظيم مؤتمر المثقفين العراقيين في زمن ولاية الأستاذ مفيد الجزائري . في ذلك المؤتمر تجلى بشكل واضح الدور القيادي الكبير للمرحوم كامل شياع بوصفه منظما ومفكرا وإداريا من الطراز الأول . وربما تجلى هذا الدور أولا في المؤتمر الاستشاري التمهيدي للمثقفين العراقيين الذي عقد في مبنى اليونسكو في باريس والذي كان لي شرف المشاركة فيه. فقد تجلت في هذه الملتقى القدرة التنظيمية والفكرية والحوارية للمرحوم كامل شياع الذي كان بحق لولب ذلك اللقاء وكل فعاليات مؤتمر المثقفين في بغداد. فعلى الرغم من ان الأستاذ مفيد الجزائري كان هو الذي يرأس اجتماعات اللجنة التحضيرية، إلا ان العقل المنظم الحقيقي للمهرجان كان يتمثل في عقل كامل شياع الذي كان يلهم الجميع ،ومن مختلف الأجيال ،ويدفعهم الى المزيد من العمل المثابر لإنجاح المهرجان بندواته وورشه وقراراته وتوصياته . لقد كانت لمساته الرقيقة الذكية مرسومة على كل ملمح من ملامح المهرجان .وكان في كل ذلك إداريا يعمل بشفافية ونزاهة ،حتى أني علمت لاحقا ان بعض موظفي وزارة الثقافة الصغار من إداريين ومحاسبين حاولوا تصيد الأخطاء الإدارية في عمل المهرجان أو بعض مظاهر الفساد الإداري والمالي فيه لكنهم فشلوا ان يجدوا شيئا وظلت صفحته بيضاء ناصعة ومنزهة من كل سوء أو غش ،فقد كان كامل شياع اكبر من كل ذلك وأسمى . وعندما تغيرت ولاية الأستاذ مفيد الجزائري ،كان أساه الأكبر رفض الوزير الجديد الاعتراف بقرارات مؤتمر المثقفين ، بل وحتى رفض

طباعة الكراس الصغير الذي كان يضم توصيات مؤتمر المثقفين وقراراته وأنشطته. إذ تعود المسؤولون في العراق الجديد ان يشطبوا على أعمال المسؤولين الذين سبقوهم وكأن عهدهم قد" جب " ماقبلهم ، ليعلنوا في النهاية إنهم إنما يبدأون من نقطة الصفر ،وغالبا مايظل هذا الصفر صفرا مكررا الى مالانهاية .وربما كان الاستثناء الوحيد هو الوزير الحالي الدكتور ماهر دلي الحديثي الذي عقد سلسلة لقاءات مثمرة مع المرحوم كامل شياع والذي كان يعول كثيرا على دور المرحوم كامل شياع في مشاريع الوزارة الثقافية في قابلات الأيام . وقد عبر لي المرحوم كامل عن انطباعاته الايجابية بعد لقاءاته بوزير الثقافة الجديد وتفاؤله الكبير ،لكن قوى الإرهاب ،كما يبدو لم تمهله وضغطت في لحظة غدر ،على الزناد الأصم الذي أودى بحياة واحد من كبار مثقفينا ومفكرينا وكتابنا.

لم تكن رصاصات الغدر اللئيمة بقادرة على ان تطمس صوت كامل شياع أو تطفئ شعاعه المتألق ،ولذا فهو سيظل حيا بيننا بقوة المثال الذي قدمه لنا ،بسلوكه المهني الإداري والثقافي الرفيع ، بقوة الحجة التي يمتلكها ، بقدرته على تقديم تحليل،جدلي متماسك للظاهرات الثقافية والاجتماعية بعمق فلسفي نفتقد إليه في خطاباتنا الثقافية والسياسية،ولكل ممارسة حياتية يومية يقوم بها في حياته .

كامل شياع سيظل في تاريخنا الثقافي ،اسما للشفافية والنقاء ،ورمزا للوطنية العراقية ،وللثقافة العراقية الحية المتجددة،وصوتاً يلامس شغاف القلب.ولذا فإن الموت المجاني غيلةً أعجز من أن يغيب قامة شامخة ونظيفة مثل قامة كامل شياع.ربما كانت الشهادة هي الجسر الذي عبر منه شهيدنا الراحل نحو مملكة الخلود ومحبة الناس.فها هم شعراء العراق في مهرجان المربد الماضي ،ودونما اتفاق مسبق، يتغنون بأجمل القصائد عن الشهيد الراحل.

اطمئن ونم قرير العين أيها الصديق الراحل عبر مملكة الضوء إننا سنظل أمناء للرسالة التي استشهدت من أجلها،لأنك ستظل تمنحنا الأمل وقوة المثال الذي لايخبو.

كامل شياع ... النبيل الأخير

مهدي القريشي

منذ ان وطأة قدماه الأرض,كانت تتبعه الملائكة كظله.

هو يقتحم المجهول ويسبر أغوار الماضي ليجتهد في فتح نافذة يطل منها شعاع الشمس، يلم أطراف الليل ويمسح الظلمة عن وجنات القمر المنزوي وراء تلال الغيم الكاذب، يمنح البراءة للبرق فيدمدم الرعد أزيزا لتتلاقح المتضادات فيشكل مع براءة البرق خير عميم.

لا تفارق محياه ابتسامة يحسده عليها الأمل والأطفال فتنهزم الظلمة في أول اشراقة لوجهه الصبوح، يندى زجاج نظارته الطبية قبل ان تغرورق عيناه، هو لا يعرف الدم ولم يؤثث له صداقات إلا في السرديات ولا يعرفه كيف يتدفق غيلة لان قلوبا خضرة في أول ربيعها تسكن تحت أضلعه متوثبة لقدوم المطر.

إيه أيها الشهيد كامل شياع لقد احتضنتك الشهادة لتتبارك بقدومك لان النبلاء من أمثالك تلتقطهم السماء لتصيرهم كواكبا أو تمنحهم الأبوة على الغيوم لتحيي الأرض وما عليها، لكن الموت هذا الزائر الثقيل الذي يسيره (الكاتم) خطفك قبل ان تكمل مشروعك النابض بالحياة، يا صديق الفرح والبهجة والجميع، الجميع المتنورين بشعاع الوطن والحب والتسامح.

هل حقا ان الموت يعرف طريقك، يصيب الموت العمى وتختلط الألوان أمامه عندما يعرف من هو بدرجتك العالية في المواطنة والثقافة والتضحية والنبل، ان رجالا خلب، عاقرون ، يقودون الموت من معصميه، يضعون في يده كاتم الصوت ويأمرونه ان يقذف بحممه الخرساء فتخرج الطلقة ذي العين الواحدة لتستقر في مركز الثقافة والعلم وتذهب الثانية مطواعة ولأنها محملة بالحقد والضغينة فتصيب كبد الحب ونبض السعادة ومجمع الناس الطيبين فتختلط الألوان ويختل العالم لان قلبا كقلب كامل شياع مزقه (وحش) واكلته هند العصر الحالي نكاية بالثقافة المنتورة.

مرة التقيتك في مبنى وزارة الثقافة، فوجدتك تنتظرني في مكتبك وأنت لم تتعرف عليّ بعد، أخجلني تواضعك وتساميت مع شموخ أخلاقك فرحا ووددت ان أتعلم بعضا من نبلك أيها النبيل الأخير.

أنا لا أستطيع أن أزن المعادلة حتى لو أدخلتها في (معمل السرياليات) كيف استقبلت قاتليك وهم يحملون عدتهم الخسيسة، كاتم الصوت وهو محشو بأخلاق سليلي (الكراجات) ومدمني الـ .....وأنت تحمل في جعبتك خمس لغات وكتاب فلسفة وروح مفعمة بالحياة ونفس أمارة بالحب.

أنت تنظر الى الأفق بعيون سومرية فتستنطق الماضي لتجمله في حضرة الآن، تحتضن الحق والسلام والمحبة فتصيره لبنة جديدة لمشروع قادم، أما هم، ينظرون الى متاريس بنادقهم يلقمونها آخر ما يملكون من حقد وموت ليزيدوا المغدورين

رقما وما عرفوا ان هذا الرقم من الأرقام الصعبة في عراق اليوم، انه عصي على أمثالهم ان يكون كما هم، اختاروا شارع محمد القاسم ليكون شاهدا على ذبح الحقيقة وأمام أنظار المارة والجند وبقايا البعث الذي تنفس الصعداء و (الجماعة) في شد وجذب، في قول وقول، في عقد صفقات لتمرير أجندة أحزابهم وطوائفهم، فأين تكون أيها الشهيد وسط هذا الضجيج المتلاطم الذي لا ينتج إلا الموت والضحك على الذقون والتشدق بالوطنية.

كان يعتقد انه سوف يصلح ما خرب في البيت الثقافي سابقا ولاحقا نتيجة السياسات الارتجالية وانتشار الأفكار الرثة التي أوصلت الثقافة في العراق الى سرديات التسول وأشعار للمديح المجاني الرث والتنظير في بوتقة الجهل المفضي الى سيلان الدم ومحق الآخر فوجد نفسه ليس في وزارة تصنع الثقافة العقلانية بل في دكاكين لإنتاج الخرافة وصناعة الطواطم ، فهل يعقل ان وزيرا للثقافة في هذا العالم المتمدن يرفض ان تكون عاصمة بلده أو أي مدينة أخرى من وطنه عاصمة للثقافة العربية، نعم انه الوزير الهارب ذو العقلية االمحشورة ما بين شارع حيفا المؤجر سلفا للإرهاب ،نعم استهدفوك الجبناء لأنهم يعرفون ان عدتك، قلم وكتاب فقتلوك وانه لأمر دبر في وضح النهار.

إنها معركة غير متكافئة، هم يحملون كاتم الصوت وهو يصدح لوطن الغد، هم مدججون بالحقد والكراهية وإزهاق الأرواح وهو متحصن بابتسامة شفيفة وقلب مفعم بحب العراق وناسه الطيبين، هم ثلة تجتمع كالخفافيش في أوكار الظلام فيحيكون مؤامراتهم الدنيئة وهو يتلو صلاته تحت ضوء الشمس لتشع أفكاره على العالم اجمع، هم يخافون الجميع لهذا حجبوا وجوههم بجواريب نسائية أو بقايا (لباس عاهرة) وهو يكشف وجهه للجميع بدون ندوب ولا تجعدات ولا تموجات بل بابتسامة دائمة الخضرة تزيد ملامح وجهه نظارة وآلفة بين البشر.

فقدتك الثقافة العراقية كواحد من مفكريها العقلانيين.

فقدك الوطن كأمين على سمعته وإعلاء شأنه

فقدك الجميع كمحب لكل الناس الطيبين

وفقدك أعداءك لأنهم لم يجدوا مثلك بعد ليتباهوا بقتله ويبغضونا.

سيبقى استشهادك يوقد جذوة التنوير والعقلانية

د. هاشم نعمة

يظن البعض من الظلاميين والجهلة والمأجورين الذين يعيشون في قوالب القرون الماضية المغلقة أن الإيغال في القتل سينهي مشاريع التنوير والحداثة والتقدم والديمقراطية إلى الأبد. لكن فاتهم التمعن والتدقيق في تفاصيل تاريخ المعرفة الطويل الذي حمل الكثير من شهادات التضحية والفداء التي أنارت ورسخت وعبدت دروب المعرفة لسالكيها. ولو كان ما يظنونه صائباً لتوقفت عجلة المعرفة وانكفأت إلى الوراء بعد كل اختفاء جسدي لأحد رموزها. إن استهداف كامل شياع لم يكن استهدافاً شخصياً لكن أغاض وأرعب هذه الفئة المتعطشة للدماء والمتوحشة والبعيدة عن المنطق والمحاججة العقلانية وفجر مكامن حقدها الدفين وزن ورجاحة وحكمة واشراقة هذا العقل المعطاء المتنور صاحب المشروع الثقافي التنويري غير المتزمت والمنفتح على كل اتجاهات وتيارات ومدارس وتراث الفكر الإنساني التقدمي الأصيل الذي يهدف بقناعة راسخة وبنبل الفارس خدمة كل ما هو وطني وترسيخ قيم الثقافة الإنسانية التقدمية فوق أي اعتبارات حزبية أو فئوية أو طائفية ضيقة. لقد جعل كامل مشروعه الأسمى الوطن والشعب وضحى من اجلهما وهو يذكرنا بسقراط الذي ركزت تعاليمه على الإنسان ومن أجل الإنسان وكانت الفلسفة بالنسبة له طريقا للحياة وهو القائل: "إن أسلوب الحياة الذي لا يخضع للفحص والاختبار لا يستحق أن يعاش"، وحكم عليه مثلما حكم على كامل بالموت من أجل مبادئه فأصبح بذلك شهيداً لحرية الفكر. لكن هل مات فكر سقراط وهل سيموت فكر كامل؟ قطعا كلا. أراد كامل لمشروعه أن يخطو خطواته الأولى في وسط جو محموم بالاحتراب الطائفي والتزمت الديني والفكرالشوفيني وهي مهمة لم تكن سهلة أبداً لكنه تصدى لها بكل شجاعة وجدارة واقتدار. وكان شهيدنا على صواب عندما قال: "لا يمكن بناء المستقبل بأفكار معاد تصنيعها من منتجات الماضي... فقيمة الحياة في المستقبل، القوى الأصيلة حقاً هي التي تحترم المستقبل، وتعمل من أجله وتضحي في سبيله".

لقد كانت عزيمة كامل قوية صلدة وشوكته لا تنكسر يوم أبلغنا في عام 2007 في جلسة سمر ضمت بعض الرفاق والأصدقاء في بيتنا في لاهاي بعد انتهاء ندوته القيمة والمتميزة حول الديمقراطية والهوية والتي نشرت لاحقا في مجلة الثقافة الجديدة بأنه باق في العراق مهما تكن النتائج. هذا هو الدرب الذي أختاره ولا محيد عنه، إنه درب المبادئ والقيم النيرة، ويبدو أن هذا هو المصير المألوف للذين يزعزعون جذور المعتقدات البالية الراسخة. وكما قال شاعرنا الجواهري الكبير:

يومَ الشهيد طريقُ كل مناضلٍ وعرٌ ولا نُصُبٌ ولا أعلام

يا كامل إننا ماضون على الدرب الذي سلكته وأن مشروعك الثقافي التنويري العقلاني سيواصله من بعدك رفاقك وأصدقاؤك ومحبوك وسيكتب بقلمك المئات من المثقفين المناضلين البررة. وسيبقى استشهادك يوقد جذوة التنوير والعقلانية ويلاحق قوى الظلام والتزمت إلى جحورها، وستظل شعلتك متوقدة وقد خاب ظن الخائبين في إطفائها.

إن استشهادك زادنا وعيا وعزما وإصرارا على مواصلة الدرب لتنتصر راية الثقافة التقدمية الديمقراطية ولينحدر فكر الإرهاب والظلام إلى مزابل التاريخ.

وصدق الجواهري عندما قال:

يوم الشهيد بك النفوس تفتحت وعياً كما تتفتحُ الأكمامُ

إن مرور سنة على استشهاد كامل دون أن تتوضح خيوط هذه الجريمة البشعة ودون أن يتم إلقاء القبض على منفذيها والمخططين لها ما يدعو إلى التساؤل عن مدى جدية قوى الأمن في متابعة هكذا جرائم وتوفير الأمن لكل المواطنين دون تمييز.

مواجهات المثقف

كامل شياع نموذجا

ياسين النصير

تحتم الظروف الموضوعية على المثقف أن يكون في مقدمة من يكشف عن حقائق الواقع الجديد، كان اختيار كامل شياع العيش في بغداد بعد التغيير، وليس قبلها، هو موقف للمشاركة الفاعلة في حرفيات هذه المرحلة، وهذا ما تمليه الظروف الموضوعية على المثقف الحقيقي أن يتبناه. لماذا لم يأت كامل شياع قبل هذا التاريخ المفصلي ليستقر ويعمل في العراق تاركا هناءة أوربا وعملها وثقافتها وإمكانية أن يكون في أكثر من موقع ثقافي فيها، والكثير من زملائه سواء أكانوا منتمين للحزب الشيوعي العراقي أم غير منتمين، آثروا البقاء بالرغم من الوعود والآمال؟ لا شك أن خيارا قارا وقف عنده كامل شياع لأسباب سأبينها بعد قليل ليتخذ موقف العيش والعمل في العراق بالرغم مما تحيط به المخاطر كما أخبرني وأخبر أصدقاء عديدين أنه يتلمسها ويعرف خيوطها وطرق تشكلاتها المتغيرة تبعا لتغيير الظروف واقتراب الأفكار وابتعادها. والسؤال: هل يستحق الظرف الحالي أن تضحي شخصية مثقفة ومتزنة كل هذه التضحية من أجل إثبات أن المثقفين العراقيين لن يتخلوا عن قضايا شعبهم؟..لا أحد يفكر بمثل هذا السؤال، خاصة رفاقه في الحزب وأصدقاءه القريبين منه، والمسألة ليست شخصية، أو أن كامل سعى بقدميه إلى مصيره ليلقي الحجة على بعض الأطراف المشاركة بالعملية السياسية والتي ما تزال تنهج أسلوب البعث نفسه، وإنما التفكير كان ذاتيا، حيث اختيار الانتماء هو اختيار العمل التابع له، وبحدود علمي أن كامل شياع كان مهيئ تماما لأن يكون رقما في المعادلة الثقافية في العراق،لأنه وبصراحة كان قد اختزل الكثير من المعارف والممارسات وهو في بلجيكا، واغتنى بتجربة فلسفية عريقة، وكان على دراية بأساليب القمع وأنواعها،ويمتلك مشروعا وطنيا للثقافة،وقد نأى بنفسه عن كل مداخلات وزارة الثقافة وصراعاتها الداخلية وانصرف لمشروع تحديث الثقافة العراقية التي هي بأمس الحاجة لأفكار جديدة تغير بها ليس سياقاتها القديمة بل تضع برامج عمل جديدة للنهوض بالثقافة إلى مكانتها اللائقة بشعب عريق كالشعب العراقي ولذلك انصرف كليا إلى هذا المشروع وصبر على أن يمرره من مواقعه لكنه كان دائما يحبط بمعوقات سياسية لم تفقده الأمل يوما بتبنيه الأفكار الكبيرة للنهوض بالثقافة العراقية ومؤسساتها وشروط نموها وازدهارها.. ومن هنا كان قد اختار هو أن يكشف بوجوده مثل هذه الحاجة لبرامج حديثة لتحديث آلية الثقافة، إلا أن أطرافا لم تستطع تحمل صوت مثقف تنويري تقدمي يزن المشكلات بعين مقتدرة على التشخيص ولم تستوعب مشروعا ثقافيا ينقذ الثقافة من سلبياتها، فكان الصراع قاسيا بين أطراف متخلفة رجعية وأخرى تقدمية،ليتخذ شكل التصفية الجسدية لعناصر تقود مثل هذا الصراع، هذا ليس تصورا قاصرا عن فهم ما يجري، ولكنها الحقيقة أن تضحيات الحزب الشيوعي العراقي المستمرة هي نتيجة وضوح أفكاره وخطاه وطرق تعامله مع مشكلات الواقع عبر أكثر من سبعين سنة. فاستشهاد كامل لم يكن استشهادا ذاتيا أو فرديا، ولا هو نتيجة لمشاركة الحزب الشيوعي بالعملية السياسية التي قادها الأمريكان كما كتب في أحدى

الصحف العربية مع الأسف، ولا هو موقف المثقف الذي يلهث وراء المناصب كما أشار أحد الشعراء المدعين وطنية، بل هو موقف منسجم وروح النضال الحقيقي، من أن التجربة ليست هينة، وأن مصير شعب لن يكون مرتهنا بأيد طائفية أو شوفينية، وأن موت المناضل حقيقة تقلق مضاجع المجرمين ولو بعد حين..

لذا لم يكن استشهاد كامل شياع مفاجأة لنا، كما أن بقاء المجرمين طلقاء في بلدان الجوار وتحت مسميات مختلفة ليس مفاجأة أيضا، المفاجأة هي أن الذين يمارسون القتل هم من يحمي أنفسهم باسم القانون، في حين أن هذا القانون يفترض أن يكون ملزما لهم بما هو متفق عليه من أن تغيير النظام الدكتاتوري هو تغيير جذري في طرقه وسلوكه ونظمه وأساليبه القديمة.. ما حدث أن الضحية تمسك بأثواب الجلاد، واستعار مسدسه وطلقاته والقوائم القديمة في تصفيات الخصوم السياسيين،وقد يقول أنني القي التهمة على مؤسسات النظام وأحزابه، وهذا ليس صحيحا إلى درجة، ولكنها هي التي تمسك مفاصل الأمن العراقي، وهي التي تشكل متابعة للقضايا الكبيرة فيه. ما حدث أن هذا الصمت لايدع مجالا للشك أن بعض أطرافها استعانت بخبرة الدكتاتورية السابقة، وبأجهزة دولية لتنفيذ عمليات نوعية من هذا النوع، هذه الأخلاقية السياسية واحدة من ممارسات القوى المهزومة تاريخيا، مهما تمكنت وكيفما كانت سيكون مصيرها أسوأ من مصير الدكتاتورية السابقة، فمواجهات الثقافة التقدمية مع الثقافة المتخلفة والسلفية والرجعية تستدعي شهداءها دائما، والتاريخ شاهد على ذلك، لكن هذا الاستدعاء سيكون واحدا من اثنين : أما أن يكون حافزا للقوى التقدمية أن تصيّر الثقافة سلاحا جماهيريا، ويقع عليها تبعة أن تنقل ممارساتها إلى الشارع، أو أن تسكن وتهادن وتبدأ عملية نسيان الشهداء من أجل مصالح هامشية، ولا أعتقد أن وطنيا يفاوض على دم مثقف نوعي من قبيل كامل شياع، بمواعيد وأقوال.

في السياق ذاته، تمر العملية السياسة في العراق بطرق ملتوية ومتعرجة، فالكثير من القرارات والاتفاقات التي تمت بين القوى الوطنية قبل 2003 لم تلتزم بها أطراف القوى السياسية المتحكمة باسم الدين والطائفية والقومية، ويبدو ثمة اتفاقا واضحا مع الأمريكان في ذلك، هذا ليس اتهاما ولكنه حقيقة واضحة أن الكثير من الالتزامات الأخلاقية التي تمت بين أطراف العملية السياسية قبل التغيير، لم يجر العمل بها،وما الاستفراد بالحكم ونتائجه الكارثية على الشعب طوال السنوات الست إلا دليل على أن العملية السياسية تمشي على عكازات متشابهة الطول والأحجام، وليست على برامج وطنية. كانت من مهمات المثقف الوقوف بوجه هذا التشويه للتاريخ العراقي وفضحه، فليس من المعقول أن يتناسى الحكام الحاليون التاريخ النضالي للمثقف العراقي، وليس من المعقول أن يجّيروا ذلك النضال الذي خاضه المثقفون العراقيون طوال سبعين عاما وتراكمت نتائجه في شكل حركة ثورية شملت الصحافة والشارع والفكر والممارسة وتنظيمات اجتماعية ونقابية ليجيروا ذلك لأنفسهم. إن تتناسى القوى المتحكمة هذا النضال وهذا التاريخ وتركن منظماته والمثقفين الثوريين جانبا وتفضل عليه أجندات إقليمية وشرائح من دول الجيران ومن ثقافات ليست وطنية، وتتناسى متابعة اغتيال مثقف كبير،هو في صلب السير بالعراق خارج نضال شعبه التاريخي.. إن مقتل كامل شياع مؤشر حقيقي أن لا صوتا للمثقف التقدمي في المرحلة الحالية، الصوت العالي لكاتم الصوت، وللمليشيات المتخلفة،

وللثقافة السلفية المتراجعة حتى عن مشروعها التنويري، وللسراق. هذا الواقع يفرض علينا ان لا نركن إلى أية تطمينات مهدئة لاغتيال مثقف أو لتحجيم دور الثقافة الوطنية في العملية السياسية..